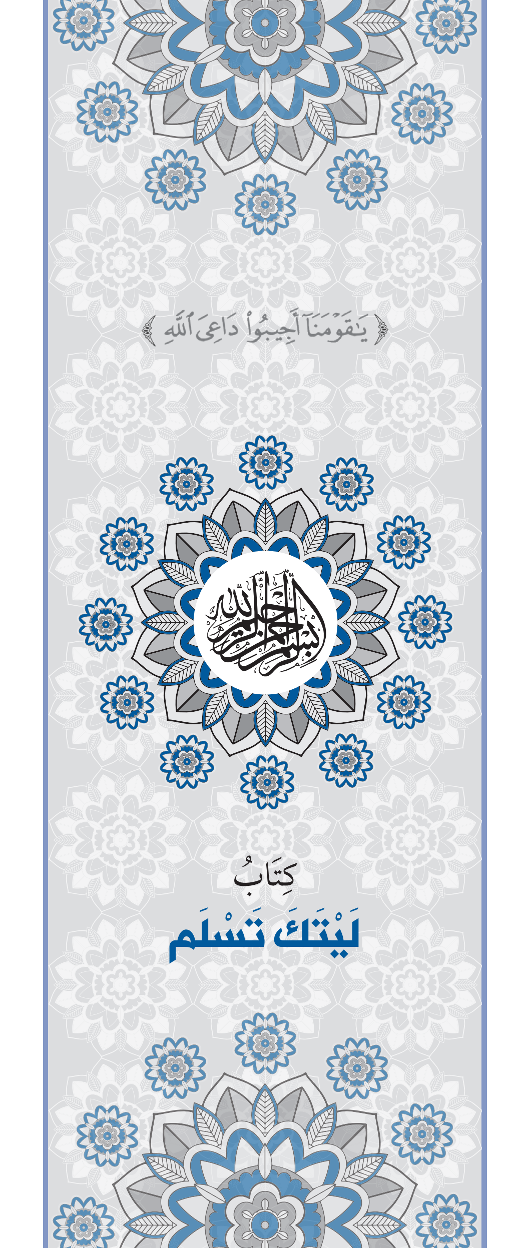

﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم
كِتَابُ
لَيْتَكَ تَسْلَم

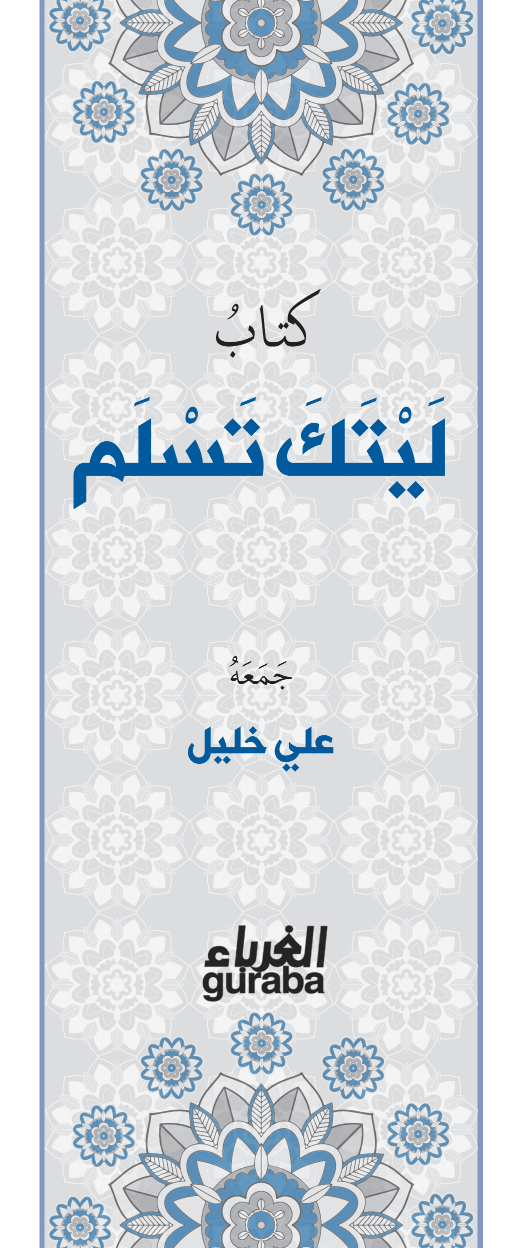


ISBN: 978-605-2107-77-5

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م







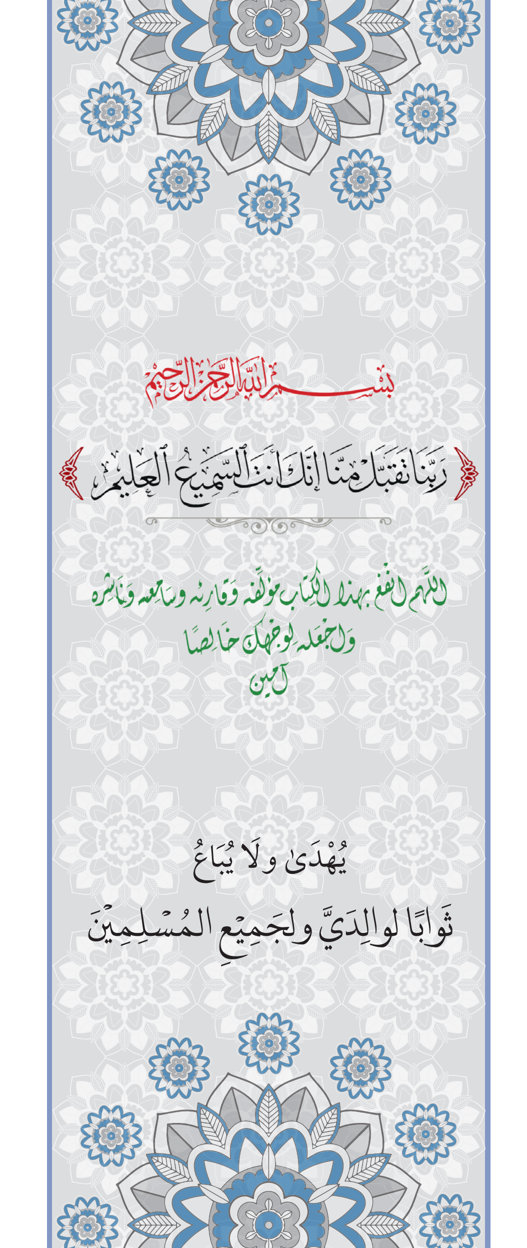
كتابُ

لَيْتَكَ تَسْلَم

جَمَعَهُ

علي خليل

الغرباء
guraba


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾
اللَّهم انفع بهذا الكتاب مؤلِّفه وقارئه وسامعه وناشره
واجعله لوجهك خالصا
آمين
يُهْدَىٰ ولَا يُبَاعُ
ثوابًا لوالِدَيَّ ولجَمِيعِ المُسْلِمِينَ



مُقَدِّمَةٌ



الحَمْـدُ للهِ رَبِّ العالمـينَ، والصَّلاةُ والسَّـلامُ علىٰ خَاتَمِ الأَنْبيـاءِ والمُرسَـلينَ، وقُـدوةِ الصَّالحيـنَ والعابديـنَ في كلِّ مَـكَانٍ وحِيـنٍ، وعَلىٰ آلِـهِ الطَّيِّبيـن الطَّاهِرين، وصَحبـِهِ الغُرِّ المَيامِيـنِ، ومَـنْ والَاهُ إِلىٰ يومِ الدِّيـنِ، وبعدُ:

اِقْتَدَى السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِيْمَا مَضَىٰ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وتَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِهِ، وامْتَثَلوا أَوَامِرَهُ، وانْتَهَوا عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ، وكَانُوا كَمَا قَـالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: **(بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَىٰ كَانُوا إِذَا رَأَوا الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ، قَالُوا: واللهِ! لَهَؤُلاءِ خَيْرٌ مِنْ الحَوَارِيِّينَ فِيْمَا بَلَغَنا)**[١].

هَذِهِ رِسَالَةٌ جَمَعْتُ فِيها أَقْوالًا وحِكَمًا وأَحْداثًا مِنْ

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٥) متوفى ٧٧٤هـ.

أُمَّهَاتِ الكُتُبِ؛ لِنَفْسِي أَوَّلًا، ثُمَّ لِإِخْوانِي الأَحِبَّةِ لِنَتَّعِظَ مِنْها وَنَعْمَلَ بِهَا؛ لأَنَّ الدُّنْيا دَارُ عَمَلٍ للآخِرَةِ، والآخِرَةُ دارُ القَرَارِ.

(قِيْلَ: إِنَّ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ خَرَجَ إِلَىٰ حَاتِمٍ الأَصَمِّ، ورحَّبَ بِهِ، وقَالَ لَهُ: كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنْ النَّاسِ؟ قَالَ:

أَنْ تُعْطِيَهُم مَالَكَ، ولَا تَأْخُذَ مِنْ مَالِهِم، وتَقْضِيَ حُقُوقَهُم، ولَا تَسْتَقْضِيَ أَحَدًا حَقَّكَ، وتَحْتَمِلَ مَكْرُوْهَهُم، ولَا تُكْرِهَهُم عَلَىٰ شَيْءٍ، ولَيْتَكَ تَسْلَمُ)[1].

لَيْتَكَ تَسْلَمُ! ومِنْها كَانَ اسْمُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ تَعالىٰ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلي خالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنِّي، وَيَنْفَعَ بِهِ المُسْلِمينَ.

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ.

علي خليل

٣٠/ ٨/ ٢٠٢٠م

١١/ ١/ ١٤٤٢هـ

(١) كتاب «سير أعلام النبلاء» ج١١، ص٤٨٧) للإمام الذهبي، ت ٧٤٨هـ.

١



سُوْقُ الإِخْلَاصِ



(سُوْقُ الإِخْلَاصِ.. رَائِجَةٌ لَيْسَ فِيْهَا كَسَادٌ)[(١)].

قالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣].

وقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[(٢)].

وكَانَ الواعظُ الزَّاهد إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ:

(المُخْلِصُ مَنْ يَكْتُمُ حَسَناتِهِ، كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ)[(٣)].

وقَالَ اِبنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ:

(إِذَا لَمْ تُخْلِصْ؛ فَلَا تَتْعَبْ)[(٤)].

---

(١) كتاب «اللطائف» (ص ١٩) لأَبي الفرج بن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٢) «رواه النسائي» (١٣٤٠).

(٣) كتاب «تنبيه المغترِّين» (ص ٢٧) للإمام الشَّعراني، متوفى سنة ٩٧٣هـ.

(٤) كتاب «بدائع الفوائد» (ص ١٨٠) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٢



كِتْمَانُ العَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ إِظْهارِهِ



عَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

(خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في غَزْوَةٍ ونَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بيْنَنَا بَعِيْرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، ونَقِبَتْ قَدَمَايَ، وسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وكُنَّا نَلُفُّ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ: غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا.

وحَدَّثَ أَبُو مُوسَىٰ بِهَذا، ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ، قَالَ:

مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكونَ شَيءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ)[١].

ويُخبِرُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهم خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في إِحْدَى الغَزَوَاتِ، وهُم سِتَّةُ نَفَرٍ، وبَيْنَهُم بَعِيرٌ

(١) «صحيح البخاري» (٤١٢٨) و«صحيح مسلم» (١٨١٦).

يَعْتَقِبونَه؛ أَيْ: يَركَبُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم نَوْبَةً، فنَقِبَتْ أَقْدَامُهُم مِنْ كَثْرةِ المَشْيِ؛ أَيْ: جُرِحَتْ مِن الحَفَاءِ، وسَقَطت أَظْفارُه مِن ذَلِكَ؛ ولِذَلِكَ كَانُوا يَلُفُّونَ عَلَىٰ أَرْجُلِهِم الخِرَقَ حِمَايةً لَهَا، ولِذَلِكَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ: «غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ».

وقَدْ أَخْبَرَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذا، ثُمَّ كَرِه ذَلكَ، وقَالَ: **مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ.**

كَأَنَّه كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ! أَيْ: أَظْهَرَهُ.

لِأَنَّ كِتْمانَ العَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهِ؛ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ، كَمَنْ يَكُونُ مِمَّنْ يُقْتَدَىٰ بِهِ.



٣



اِمْرَأَةٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً



عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

(لَمَّا قَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الحارِثِ في السَّهْمِ لِثابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، أَوْ لِابنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِها.

وكَانَتِ اِمْرأَةً حُلْوَةً مُلاحَةً لا يَراها أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ في كِتَابَتِها.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاللهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيتُها فكَرِهْتُها.

وقُلْتُ: سَيَرىٰ مِنْها مِثْلَمَا رَأَيْتُ.

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنا جُوَيْرِيَّةُ بِنتُ الحارِثِ سَيِّدِ قَومِهِ، وقَدْ أَصَابَنِي مِنَ البَلاءِ مَا

لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، وقَدْ كَاتَبْتُ عَلَىٰ نَفْسِي فَأَعِنِّي عَلَىٰ كِتابَتِي.

فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلكَ، أُؤَدِّي عَنْكِ كِتابَتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ».

فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَها.

فَقالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا كَانَ في أَيْدِيْهِم مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ؛ فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِها مِئةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ.

فَمَا أَعلَمُ اِمْرَأَةً أَعظَمَ بَرَكَةً مِنْها عَلَىٰ قَومِهَا)[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٧٤) صحيح ثابت، و«صحيح أبي داود» (رقم ٣٩٣١) خلاصة الحكم: حسن.

٤



اللِّسَانُ والصَّمْتُ



أَخَذَ أَبُو بَكَرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَرَفِ لِسَانِهِ، وقَالَ:

(هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ)[(١)].

وعَنْ وُهَيْبِ بنِ الوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

(كَانَ يُقالُ: الحِكْمَةُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ: فَتِسْعَةٌ مِنْها في الصَّمْتِ، والعَاشِرَةُ عُزْلَةُ النَّاسِ)[(٢)].



(١) رواه مالك ص٢٢٣٠، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠ ـ ٤٠٢).

(٢) كتاب «الصمت» (ص٦٢) لأَبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أَبي الدنيا، متوفى ٢٨١هـ.

٥



فَضْلُ أَبِي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



قَالَ الإِمامُ المُفَسِّرُ؛ الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مَنْ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكرٍ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ لِإِنْكارِهِ نَصَّ القُرْآنِ.

وفي سَائِرِ الصَّحابَةِ إِذَا أَنْكَرَ يَكونُ مُبْتَدِعًا، لَا يَكُونُ كَافِرًا)[١].



(١) كتاب «نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأَنبياء والصالحين» (ص٨٤) لتقي الدين عبد الملك الحلبي الشافعي، متوفى ٨٣٩هـ.

٦



فَإِذا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ



عَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«رَأَيْتُ في المَنامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِها نَخْلٌ؛ فَذَهَبَ وَهَلِي - أَيْ: ظَنِّي - إِلىٰ أَنَّها اليَمامَةُ أَو هَجَرُ - بَلَدٌ مَعْرُوفٌ مِن البَحْرَيْنِ - فَإِذا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ، ورَأَيْتُ في رُؤْيايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذا هُوَ مَا أُصِيْبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يومَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَىٰ فَعادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ واجْتِماعِ المُؤْمِنِينَ، ورَأَيْتُ فِيْها بَقَرًا، واللهِ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ المُؤْمِنُونَ يَومَ أُحُدٍ، وإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ وثَوابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانا اللهُ بَعْدَ يَومِ بَدْرٍ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٣٦٢٢).

٧



يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ



(قَـالَ إِمامُ النَّحْـو في عَصْـرِهِ إِبراهيم بن محمَّـد نِفْطَوَيْهِ العَتَكـيِّ الأَزْديِّ ـ فـي قَولِـهِ تَعَالـىٰ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾ ـ:

هُـوَ مَثَلٌ ضَرَبَـهُ اللهُ لِنَبِيِّـهِ، يَقُولُ: يَـكَادُ مَنْظَرُهُ يَـدُلُّ عَلَىٰ نُبُوَّتِـهِ، وإِنْ لَـمْ يَتْـلُ قُرآنًا، وقَالَ اِبـنُ رَواحَةَ:

لَو لَمْ يَكُنْ فِـيْـهِ آيـاتٌ مُبـيِّنَةٌ

كَانَتْ بَدِيْهَتُهُ تُنْبِيْـكَ بالخَـبَرِ)[١]

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ٥١١ ـ ٥١٢) لأَبي العباس تقي الدين الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

٨



اِجْتَهَدَ بَعْضُهم



قَالَ اِبنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

(وقَدْ اِجْتَهَدَ الصَّحابَةُ في زَمْنِ النَّبيِّ ﷺ في كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكامِ ولَمْ يُعَنِّفْهُم، كَمَا أَمَرَهُم يَوْمَ الأَحْزَابِ أَنْ يُصَلُّوا العَصْرَ في بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاِجْتَهَدَ بَعْضُهُم وصَلَّاهَا في الطَّرِيْقِ، وقَالَ: لَمْ يُرِدْ مِنَّا التَّأْخِيْرَ، وإِنَّما أَرادَ سُرْعَةَ النُّهُوْضِ، فَنَظَرُوا إِلى المَعْنَى، واِجْتَهَدَ آخَرُونَ وأَخَّرُوهَا إِلى بَنِي قُرَيْظَةَ فَصَلَّوْها لَيْلاً، نَظَروا إِلى اللَّفْظِ، وهَؤُلاءِ سَلَفُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وهَؤُلاءِ سَلَفُ أَصْحَابِ المَعانِي والقِيَاسِ)[1].



(١) كتاب «أعلام الموقِّعين» (١/ ١٥٦) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٩



أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حُمْقِي



حَكَى الأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: قُلْتُ لِغُلامٍ حَدَثٍ مِنْ أَوْلادِ العَرَبِ كَانَ يُحادِثُنِي، فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ ومَلاحَةٍ: أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِئَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وأَنْتَ أَحْمَقُ؟

قَالَ: لَا وَاللهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حُمْقِي جِنايَةً تَذْهَبُ بِمالِي، ويَبْقَى عَلَيَّ حُمْقِي.

فَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الصَّبِي كَيْفَ اِسْتَخْرَجَ بِفَرْطِ ذَكائِهِ، واِسْتَنْبَطَ بِجُودَةِ قَرِيْحَتِهِ، مَا لَعَلَّهُ يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً، وأَكْثَرُ تَجْرِبَةً[1].



(١) كتاب «أدب الدنيا والدين» (ص٩) لأبي الحسن الماوردي، ت ٤٥٠هـ.

١٠



السَّعادةُ التَّامَّةُ



(إِذَا نَـامَ المَـرْءُ خَـرَجَ عَـنْ الدُّنْيـا، ونَسِـيَ كُلَّ سُـرُوْرٍ، وكُلَّ حُـزْنٍ.. فَلَـوْ رَتَّـبَ نَفْسَـهُ فـي يَقَظَتِهِ عَلَىٰ ذَلِـكَ أَيْضًا؛ لَسَـعِدَ السَّـعادَةَ التَامَّـةَ)[1].



(١) كتاب «الأَخلاق والسير» (ص ٨٥) للإمام أَبي محمد علي بن أَحمد بن حزم الأَندلسي، متوفى ٤٥٦هـ.

١١



شَوْقٌ إِلَى الأَوْطَانِ



قَالَ أَعْرَابِيٌّ:

(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ، ودَوامَ عَهْدِهِ، فَانْظُرْ إِلَىٰ حَنِيْنِهِ إِلَىٰ أَوْطَانِهِ، وشَوْقِهِ إِلىٰ إِخْوَانِهِ، وبُكَائِهِ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ زَمانِهِ)[١].



(١) كتاب «العقد الفريد» (٤/ ٣١) لأَحمد بن محمد بن عبد ربه الأَندلسي، متوفى ٣٢٨هـ.

١٢



فَلَا تُطِلِ القُعُودَ عِنْدَهُ



(حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَدٌ، قَالَ:

سَمِعْتُ أَبا الأَسَدِ مُحَمَدَ بنَ حَفْصٍ جارَ بِشْرٍ، قَالَ:

دَخَلْنا عَلَىٰ بِشْرِ بنِ الحارِثِ وهُوَ مَرِيْضٌ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَوْصِنِي؟

قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ مَرِيْضٍ فَلا تُطِلِ القُعُودَ عِنْدَهُ)[١].



(١) كتاب «تاريخ بغداد» (٣/ ٩٩) للإمام الحافظ أَبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

١٣



لَمْ أَرْحَلْ لِأُبْصِرَ الفِيْلَ



(حُكِيَ عَنِ الحُمَيْدِيِّ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسِ مَالِكٍ مَعَ جَماعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَدْ حَضَرَ الفِيْلُ، فَخَرَجُوا ولَمْ يَخْرُجْ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: مَا لَكَ لَمْ تَخْرُجْ لِتَنْظُرَ إِلَىٰ الفِيْلِ، وهَوُ لَا يَكُونُ فِي بِلَادِكَ؟

فَقَالَ لَهُ: لَمْ أَرْحَلْ لِأُبْصِرَ الفِيْلَ، وإِنَّما رَحَلْتُ لِأُشَاهِدَكَ وأَتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِكَ وهَدْيِكَ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْهُ، وسَمّاهُ عَاقِلَ الأَنْدَلُسِ)[١].



(١) كتاب «سير أَعلام النبلاء» (١/ ٣١٨) للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذَّهبي. متوفى ٧٤٨هـ. المقصود في هذه القصة هو: أَبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأَندلسي القرطبي، الذي روى «الموطأ» عن مالك بن أَنس.

١٤



القَائِمُ بالحَقِّ (الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ)



(هُوَ الإِمَامُ الحَافِظُ المُؤَرِّخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابنُ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايْمَازَ الذَّهَبِيُّ، وُلِدَ رحمه الله سَنَةَ ثَلَاثٍ وسَبْعِيْنَ وسِتِّمِئَةٍ مِنْ الهِجْرَةِ، وكَانَ وَالِدُهُ شِهَابُ الدِّيْنِ أَحْمَدُ بنُ عُثْمَانَ يَمْتَهِنُ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ المَدْقُوْقِ، وقَدْ بَرَعَ بِهَا وتَمَيَّزَ، فعُرِفَ بالذَّهَبِيِّ.

وقَدْ كَانَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رحمه الله وَاسِعَ العِلْمِ جِدًّا، غَزِيْرَ المَعْرِفَةِ بِالعُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْ عَقِيْدَةٍ، وفِقْهٍ، وحَدِيْثٍ، وقِرَاءَاتٍ، وأُصُولٍ وغَيْرِهَا، وكَانَ رحمه الله رَأْسًا فِي مَعْرِفَةِ الحَلَالِ والحَرامِ مَعَ فَهْمٍ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، إِمَامًا فِي الحَدِيْثِ وعُلُوْمِهِ، نَاقِدًا بَصِيْرًا، إِمَامًا فِي عِلْمِ التَّراجِمِ والتَّارِيْخِ، قَوِيًّا فِي السُّنَّةِ، شَدِيْدًا عَلَىٰ أَهْلِ البِدْعَةِ، قَائِمًا بالحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

وقَدْ طَلَبَ الحَدِيثَ ولَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَسَمِعَ بِدِمَشْقَ مِنْ عُمَرَ بنِ القَوّاسِ، وأَحْمَدَ بنِ هِبَةِ اللهِ بنِ عَسَاكِرَ، ويُوْسُفَ بنِ أَحْمَدَ الغَسُّوْلِيِّ وَغَيْرِهِم، وبِبَعْلَبَكَّ مِنْ عَبْدِ الْخَالِقِ بنِ عُلْوَانَ، وَزَيْنَبَ بِنْتِ عُمَرَ بنِ كِنْدِيٍّ.

وبِمِصْرَ مِنْ الأَبَرْقُوْهِيِّ، وعِيْسَى بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ شِهَابٍ، وَشَيْخِ الإِسْلَامِ بنِ دَقِيْقِ العِيْدِ، والحَافِظَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الدِّمْيَاطِيِّ، وأَبِي العَبَّاسِ بنِ الظَّاهِرِيِّ وَغَيْرِهِم، وسَمِعَ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِن أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الغَرّافِيِّ، وأَبِي الحَسَنِ يَحْيَى بنِ أَحْمَدَ بنِ الصَّوّافِ، وَغَيْرِهِمَا.

وبِمَكَّةَ مِن التَّوْزَرِيِّ وَغَيْرِهِ، وبِحَلَبَ مِن سُنْقُرَ الزَّيْنِيِّ وَغَيْرِهِ، وبِنَابُلُسَ مِن العِمَادِ بنِ بَدْرَانَ، ومِن أَشْهَرِ مَشَايِخِهِ الَّذِيْنَ أَخَذَ عَنْهُم وتَأَثَّرَ بِهِم؛ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله)[1].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «طبقات الشافعية» (٩/ ١٠١) لأَبي بكر بن أَحمد تقي الدين الدمشقي، متوفى ٨٥١هـ.

١٥



مَمْلَكَةُ مَحْمُودِ بنِ سُبُكْتكِيْنَ



قَالَ عَنْهُ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله:

(لَمَّا كَانَتْ مَمْلَكَةُ مَحْمُودِ بنِ سُبُكْتِكِيْنَ مِنْ أَحْسَنِ مَمَالِكِ بَنِي جِنْسِهِ، كانَ الإِسْلامُ والسُّنَّةُ في مَمْلَكَتِهِ أَعَزَّ، فَإِنَّهُ غَزَا المُشْرِكِيْنَ مِنْ أَهْلِ الهِنْدِ، ونَشَرَ مِن العَدْلِ ما لَمْ يَنْشُرْهُ مِثْلُهُ، فَكَانَتْ السُّنَّةُ في أَيامِهِ ظَاهِرَةً، والبِدَعُ في أَيامِهِ مَقْمُوعَةً)[١].



(١) كتاب «مجموع فتاوى» (١٥/ ٢) لأَبي العباس تقي الدين الحرّاني، متوفى ٧٢٨هـ.

١٦



زُهْدُ الإِمامِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ



مِنَ الدَّلِيْلِ عَلَىٰ زُهْدِ الإِمَامِ مَالِكٍ وتَواضُعِهِ، وتَوَرُّعِهِ عَلَىٰ عَدَمِ حَمْلِ النَّاسِ عَلَىٰ تَقْلِيْدِهِ.

فَقَدْ بَيَّنَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُقَفَّعِ في: «رِسَالَةُ الصَّحَابَةِ في طَاعَةِ السُّلْطَانِ» الَّتِي رَفَعَها إِلَى الخَلِيْفَةِ العَبَّاسِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُورِ، الضَّرَرَ مِنْ فَوْضَى الاِجْتِهَادِ واخْتِلافِ الأَحْكَامِ، ونَوَّهَ بِالفَائِدَةِ مِنْ وَضْعِ قَانُونٍ عَامٍّ لِجَمِيْعِ الأَمْصَارِ يُؤْخَذُ مِنْ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وعِنْدَ عَدَمِ النَّصِّ يُؤْخَذُ عَنْ الرَّأْيِ عَلَىٰ ما يَقْتَضِيْهِ العَدْلُ ومَصْلَحَةُ الأُمَّةِ.

عَرَضَ أَبُو جَعْفَرٍ الأَمْرَ عَلَى الإِمَامِ مَالِكٍ، وطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُدَوِّنَ مَذْهَبَهُ لِيَحْمِلَ النَّاسَ عَلَىٰ عِلْمِهِ وكُتُبِهِ، فَرَفَضَ الإِمامُ هَذَا الفَخْرَ، كَما رَفَضَهُ تَكْرَارًا في عَهْدِ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ.

ولَمَّا أَفْتَىٰ بِعَدَمِ صِحَّةِ البَيْعَةِ بالإِكْرَاهِ، أَمَرَ وَالي المَدِيْنَةِ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ بِضَرْبِهِ بالسِّيَاطِ؛ فَتَحَمَّلَ مَالِكٌ هَذَا الأَذَىٰ، وصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ الاِضْطِهادِ، وبَقِيَ مُصِرًّا عَلَىٰ رَأْيِهِ وعَقِيْدَتِهِ)[1].



(١) كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ٢٦ ـ ٢٧) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

١٧




حَتَّى شَاءَهُ اللهُ لَهَا

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ في «تفسيره» في قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير]:

(بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ العَبْدُ خَيْرًا إِلَّا بِتُوفِيْقِ اللهِ، ولَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ.

وقَالَ الحَسَنُ: واللهِ مَا شَاءَتْ العَرَبُ الإِسْلامَ حَتَّىٰ شَاءَهُ اللهُ لَهَا.

وقَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: قَرَأْتُ في سَبْعَةٍ وثَمانِيْنَ كِتَابًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى الأَنْبِياءِ: مَنْ جَعَلَ إِلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا مِن المَشِيْئَةِ؛ فَقَدْ كَفَرَ)[١].



(١) كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ١٢٤) لابن قيم الجوزية.

١٨




أَهْلُ الرَّحْمَةِ لِلرَّحْمَةِ

(قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ، ومَالِكٌ، وجَماعَةٌ مِن السَّلَفِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

قَالُوا: خَلَقَ أَهْلَ الرَّحْمَةِ لِلرَّحْمَةِ، وأَهْلَ الاِخْتِلافِ لِلاِخْتِلافِ)(١).



(١) كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ١٢٨) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.



١٩



أَتَرَوْنَهُ لَو زَادُوْهُ فَعَلَ



(اِسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ـ اِسْمُ قَبِيْلَةٍ ـ فَذُكِرَ المَجُوسُ ـ أَتْباعُ عَبَدَةِ النَّارِ ـ يَوْمًا عَنْدَهُ فَقَالَ: لَعَنَ اللهُ المَجُوسَ يَنْكِحُونَ أُمَّهَاتِهِم، واللهِ لَو أُعْطِيْتُ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ مَا نَكَحْتُ أُمِّي، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: قَبَّحَهُ اللهُ، أَتَرُونَهُ لَو زَادُوهُ فَعَلَ، وعَزَلَهُ)[١].



---

(١) كتاب «أَدب الدُّنيا والدِّين» (ص٢٣) لأَبي الحسن البصري الماوردي، متوفى ٤٥١هـ.

٢٠



أَنَا أَحَقّ بِالحَياءِ مِنْ رَبِّي



(قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ ﵀: إِنَّ خَادِمًا لِعَبْدِ الله بنِ عُمَرَ أَذْنَبَ، فَأَرادَ ابنُ عُمَرَ أَنْ يُعاقِبَهُ عَلَىٰ ذَنْبِهِ، فقَالَ: يَا سَيِّدِي! أَمَا لَكَ ذَنْبٌ تَخافُ الله تَعالَىٰ مِنْهُ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَمْهَلَكَ لَمَا أَمْهَلْتَنِي، ثُمَّ أَذْنَبَ العَبْدُ ثَانِيًا، فَأَرادَ عُقُوبَتَهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَعَفا عَنْهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ الثَّالِثَةَ، فَعاقَبَهُ وهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ لَهُ ابنُ عُمَرَ: مَا لَكَ لَمْ تَقُلْ مَا قُلْتَ فِي الأَوَّلَتَيْنِ؟

فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! حَيَاءً مِنْ حِلْمِكَ مَعَ تَكْرارِ جُرْمِي، فَبَكَىٰ ابنُ عُمَرَ وقَالَ: أَنا أَحُقُّ بالحَياءِ مِنْ رَبِّي، أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله تَعَالَىٰ)[1].



(١) كتاب «البداية والنهاية» (١٧/ ٣٠٠) للحافظ عماد الدين أَبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

٢١



فَاقْضُوا عَنْهُ مَا عَلَيْهِ مِنْ الدَّيْنِ



(كَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ رحمه الله إِلىٰ عُمَّالِهِ: أَنْ اِقْضُوا عَنْ الغَارِمِيْنَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَنْ نَجِدَ الرَّجُلَ لَهُ المَسْكَنُ، والخَادِمُ، والفَرَسُ، ولَهُ الأَثَاثُ في بَيْتِهِ.

فَكَتَبَ عُمَرُ: لَا بُدَّ لِلرَّجُلِ مِنْ المُسْلِمِيْنَ مِن مَسْكَنٍ يَأْوِي إِلَيْهِ رَأْسُهُ، وخَادِمٍ يَكْفِيْهِ مِهْنَتَهُ، وفَرَسٍ يُجَاهِدُ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ، وأَثَاثٍ في بَيْتِهِ، ومَعَ ذَلِكَ فَهُوَ غَارِمٌ، فَاقْضُوا عَنْهُ مَا عَلَيْهِ مِنْ الدَّيْنِ)[١].



(١) كتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص ١٦٣) لابن عبد الحكم، ت ٢١٤هـ.

٢٢



فَضْلُ العِلْمِ وشَرَفُهُ



(عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَوْ أَنَّ العُلَمَاءَ أَخَذُوا العِلْمَ بِحَقِّهِ لَأَحَبَّهُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ والمَلائِكَةُ والصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادَهُ، ولَهَابَهُم النَّاسُ، لِفَضْلِ العِلْمِ وشَرَفِهِ)[١].



---

(١) كتاب «الأخلاق والسير» (ص ٢١٣) للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦هـ.

٢٣



نَبْذُ التَّعَصُّبِ



قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لَا تُقَلِّدْنِي، ولَا تُقَلِّدْ مَالِكًا، ولَا الشَّافِعِيَّ، ولَا الأَوْزاعِيَّ، ولَا الثَّوْرِيَّ، وخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذُوا)[١].



(١) كتاب «إعلام الموقّعين» (٢/ ٣٠٢) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٢٤



فَضْلُ الدِّيْنِ والعِلْمِ



(اُنْظُرْ في المَالِ والحَالِ والصِّحَّةِ إِلَىٰ مَنْ دُوْنَكَ.
واُنْظُرْ في الدِّيْنِ والعِلْمِ والفَضَائِلِ إِلَىٰ مَنْ فَوْقَكَ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «الأَخلاق والسير» (ص ٨٩) للإمام أَبي محمد علي بن أَحمد بن حزم الأندلسي، متوفى ٤٥٦هـ.





يَا أَخِي! أَمَرْتَنا بِخَيْرٍ فَأَطَعْنَاكَ



(ذَكَرَ ابنُ عَبْدِ البَرِّ في تَوَاضُعِ أَهْلِ العِلْمِ: سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِي يَذْكُرُ أَنَّ الغَازِيَ بنَ قَيْسٍ، لَمَّا رَحَلَ إِلَى المَدِيْنَةِ سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ، وقَرَأَ عَلَى نَافِعٍ القَارِئِ، فَبَيْنَمَا هُوَ في أَوَّلِ دُخُولِهِ المَدِيْنَةَ في مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ دَخَلَ ابنُ أَبِي ذِئْبٍ فَجَلَسَ ولَمْ يَرْكَعْ، فَقَالَ لَهُ الغَازِي: قُمْ يَا هَذَا! فارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، فَإِنَّ جُلُوسَكَ دُوْنَ أَنْ تُحَيِّي المَسْجِدَ بِرَكْعَتَيْنِ جَهْلٌ، أَو نَحْوَ هَذَا مِنْ جَفَاءِ القَولِ، فَقَامَ ابنُ أَبِي ذِئْبٍ فَرَكَعَ رَكْعَتَينِ وجَلَسَ، فَلَمّا انْقَضَتْ الصَّلاةُ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ وتَحَلَّقَ النّاسُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الغَازِي بنُ قَيْسٍ خَجِلَ واسْتَحْيَا ونَدِمَ، وسَأَلَ عَنْهُ فَقِيْلَ لَهُ: هَذا ابنُ أَبِي ذِئْبٍ أَحَدُ فُقَهاءِ المَدِيْنَةِ وأَشْرَافِهِم، فَقَامَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الإِمَامُ ابنُ أَبِي ذِئْبٍ: يَا أَخِي! لَا عَلَيْكَ أَمَرْتَنَا بِخَيْرٍ فَأَطَعْنَاكَ)[١].

(١) كتاب «التمهيد» (٢٠/ ١٠٦) للإمام الحافظ ابن عبد البر الأندلسي، ت ٤٦٣هـ.

٢٦



خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا



قَالَ المَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سَمِعْتُ أَبا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمَ بنَ مُضَارِبِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ الحُسَيْنَ بنَ الفَضْلِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ تُخرِجُ أَمْثَالَ العَرَبِ والعَجَمِ مِنْ القُرْآنِ!

فَهَلْ تَجِدُ في كِتَابِ اللهِ «**خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا**»؟

قَالَ: نَعَمْ، في أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].



قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ في كِتَابِ اللهِ: «**مَن جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ**»؟

قَالَ: نَعَمْ، في مَوْضِعَيْنِ:

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

و﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ [الأحقاف: ١١].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ في كِتَابِ اللهِ:

«**اِحْذَرْ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ**»؟ قَالَ: نَعَمْ:

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ في كِتَابِ اللهِ: «**لَيْسَ الخَبَرُ كالعِيَانِ**»؟

قَالَ: في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ: «**في الحَرَكاتِ البَرَكاتُ**»؟

قَالَ: في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾ [النساء: ١٠٠].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ: «**كَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ**»؟

قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ قَوْلَهُم: «**حَيْنَ تَقْلِي تَدْرِي**»؟

قَالَ: ﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ: «**لَا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِن جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**»؟

قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ: «**مَن أَعانَ ظَالِماً سُلِّطَ عَلَيْهِ**»؟

قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ قَوْلَهُم: «**لا تَلِدُ الحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً**»؟

قَالَ: قَالَ تَعالَى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٧].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ: «**لِلْحِيْطَانِ آذَانٌ**»؟

قَالَ: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٧].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيْهِ: «**الجَاهِلُ مَرْزُوْقٌ والعَالِمُ مَحْرُوْمٌ**»؟

قَالَ: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

قُلْتُ: فَهَلَ تَجِدُ فِيْهِ: «**الحَلالُ لَا يَأْتِيك إِلَّا قُوْتًا، والحَرَامُ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا جُزَافًا**»؟

قَالَ: في قَوْلِهِ تعالَىٰ: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣][١].

❊ ❊ ❊

(١) كتاب «الإتقان في علوم القرآن» (ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤) لجلال الدين السيوطي، متوفى ٩١١هـ.

٢٧



لَا تَثِقْ بِالمُسْتَخِفِّ



(ثِقْ بالمُتَدَيِّنِ، وإِنْ كانَ عَلىٰ غَيْرِ دِيْنِكَ.

ولَا تَثِقْ بِالمُسْتَخِفِّ، وإِنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ عَلىٰ دِيْنِكَ)[1].



(١) كتاب «الأخلاق والسير» (ص ١٠٠) للإمام أَبي محمد علي بن أَحمد بن حزم الأَندلسي، متوفى ٤٥٦هـ.

٢٨



جَاهِلٌ سَأَلَ عَالِماً



عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ ﵁ أَنَّ أَعْرابِيًّا قَالَ:

يَا رَسُوْلَ اللهِ! أَرَأَيْتَ ثِيَابًا في الجَنَّةِ نَعْمَلُها بِأَيْدِيْنا؟

قَالَ: فَضَحِكَ القَوْمُ!

فَقَالَ الأَعْرابِيُّ: مِمَّ تَضْحَكُوْنَ، مِنْ جَاهِلٍ سَأَلَ عَالِمًا؟

فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ»[1].



(١) «جامع المسانيد والسنن الهادي لأَقوم سَنن» (ص ١٩٢) للإمام الحافظ المحدث المؤرخ الثقة عماد الدين أَبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، متوفى ٧٧٤هـ.

٢٩



يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنْ البَخِيْلِ



عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَ لَمْ يُنْهَوْا عَنِ النَّذْرِ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئاً ولَا يُؤَخِّرُ، وإِنَّما يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ البَخِيلِ**»[١].

حَثَّ الإِسْلامُ عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الطَّاعَاتُ والعِبَادَاتُ خَالِصَةً لِلقُرْبَةِ والعِبَادَةِ، ولَيْسَتْ كَتَعْوِيضٍ عَلَىٰ أَمْرٍ أَوْ حُصُوْلِ مَنْفَعَةٍ، بِحَيْثُ لَو لَمْ تَحْصُلْ هَذِهِ المِنْفَعَةُ لَا تُؤَدَّىٰ هَذِهِ الطَّاعَةُ؛ أَيْ: أَنَّ النَّذْرَ عَهْدٌ يَقْطَعُهُ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ويَلْتَزِمُ بِهِ، فيُوْجِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِي الأَصْلِ، والمَقْدُوْرُ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ شَرٍّ إِلَىٰ خَيْرٍ بِسَبَبِ النَّذْرِ؛ أَيْ: إِنَّهُ أَشْبَهُ بِإِلْزامِ البَخِيْلِ بِإِخْرَاجِ شَيْءٍ، وإِلَّا لَا يُخْرِجُ طَوْعًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ.



(١) «صحيح البخاري»: (الرقم ٦٦٩٢).

٣٠
فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

«أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُم، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيْلًا، قَالَ: صَدَقْتَ؛ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ.

فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ اِلتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَىٰ البَحْرِ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ،

فَسَأَلَنِي كَفِيْلًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيْدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَىٰ بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ؛ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ؛ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[1].



(١) رواه البخاري: (رقم ٢٢٩١).

٣١



إِنْ كَنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ حُرٌّ



قَالَ الإمامُ الزَّاهدُ عَلِيُّ بنُ بَكَّارٍ ﷺ:

(كُنَّا جُلُوْسًا بِالمَصِيْصَةِ وفِيْنا إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ، فَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ خُرَاسَانَ فَقَالَ: أَيُّكُم إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ؟ فَقَالَ القَوْمُ: هَذَا! وأَشَارُوا إِلَيْهِ.

قَالَ: إِنَّ إِخْوَتَكَ بَعَثُونِي إِلَيْكَ، فَلَمَّا ذَكَرَ إِخْوَتَهُ أَخَذَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهُ، وقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَنَا مَمْلُوْكٌ مَعِي دَرَاهِمُ عَشَرَةُ آلافٍ، وفَرَسٌ وبَغْلَةٌ بَعَثَ بِها إِخْوَتُكَ إِلَيْكَ.

قَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ حُرٌّ ومَا مَعَكَ لَكَ، اِذْهَبْ فَلا تُخْبِرْ أَحَدًا)[١].



(١) «وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزمان» (١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) في زيادة نسخة آيا صوفيا، لأَبي عباس أَحمد بن خلكان، متوفى ٦٨١هـ.

٣٢



يَرْزُقُهم علَى كَثْرَةِ عددِهم



قِيْلَ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ العِبَادَ عَلَىٰ كَثْرَةِ عَدَدِهِم؟!

فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُم عَلَىٰ كَثْرَةِ عَدَدِهِم)(١).

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

❋ ❋ ❋

(١) كتاب «أدب الدنيا والدين» (ص١١) لأبي الحسن الماوردي، متوفى ٤٥١هـ.

٣٣



قَسّمَ الأَعْمالَ كَمَا قَسّمَ الأَرْزَاقَ



(كَتَبَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ العُمَرِيُّ العَابِدُ ﵀ إِلىٰ إِمَامِ دَارِ الهِجْرَةِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ؛ يَحُضُّهُ إِلىٰ الِانْفِرَادِ والعَمَلِ، ويَرْغَبُ بِهِ عَنِ الِاجْتِمَاعِ إِلَيْهِ في العِلْمِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الإِمَامُ مَالِكٌ ﵀:

إِنَّ اللهَ ﷻ قَسَّمَ الأَعْمَالَ كَمَا قَسَّمَ الأَرْزَاقَ:

فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ في الصَّلاةِ، ولَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصَّوْمِ.

وآخَرُ فُتِحَ لَهُ في الصَّدَقَةِ، ولَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصِّيَامِ.

وآخَرُ فُتِحَ لَهُ في الجِهَادِ، ولَمْ يُفْتَحْ لَهُ في الصَّلاةِ.

ونَشْرُ العِلْمِ وتَعْلِيْمُهُ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ البِرِّ.

وقَدْ رَضِيْتُ بِما فَتَحَ اللهُ لِي فِيْهِ مِنْ ذَلِكَ.

ومَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيْهِ بِدُونِ مَا أَنْتَ فِيْهِ.

وأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلَانا عَلَىٰ خَيْرٍ.

ويَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَرْضَىٰ بِمَا قُسِمَ لَهُ..

والسَّلامُ)[1].

(١) كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأَسانيد» (٦/ ٢٥٤) للإمام الحافظ أَبي عمر بن عبد البر الأَندلسي، متوفى ٤٦٣هـ.

٣٤



مَنْ بَذَلَ دُنْياهُ في صَلَاحِ دِيْنِهِ



(عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرِو بنِ الأَهْتَمِ:

أَيُّ الرِّجَالِ أَشْجَعُ؟

قَالَ: **مَنْ رَدَّ جَهْلَهُ بِحِلْمِهِ**.

قَالَ: أَيُّ الرِّجَالِ أَسْمَى؟

قَالَ: **مَنْ بَذَلَ دُنْيَاهُ في صَلَاحِ دِيْنِهِ**)[١].

❁ ❁ ❁

(١) «مجموعة رسائل ابن أَبي الدنيا» «كتاب الحلم» (ص ٣٣ ـ ٣٤) لأَبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ(ابن أَبي الدنيا) متوفى ٢٨١هـ.

٣٥



لَا أَدْرِي



(حَدَّثَ ابنُ وَهْبٍ عَن مَالِكٍ، قَالَ:

سَمِعْتُ اِبنَ هُرْمُزَ، يَقُولُ:

يَنْبَغِي لِلعَالِمِ أَنْ يُورِثَ جُلَسَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ «**لَا أَدْرِي**» حَتَّىٰ يَكُونَ أَصْلًا في أَيْدِيهِم؛ فَإِذَا سُئِلَ أَحَدُهُم عَمَّا لَا يَعْلَمُ، قَالَ: لَا أَدْرِي)[١].

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: **(لَا أَدْرِي نِصْفُ العِلْمِ)**[٢].



(١) كتاب «فتح المالك بترتيب التمهيد» (ص٧٠) لابن عبد البرِّ على موطأ الإمام مالك.

(٢) «الآداب الشرعية» لابن رجب الحنبلي (ج٢، ص٥٨).

٣٦



فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُوْلُ



(قَـالَ الجَاحِظُ، قَالَ ثُمَامَةُ:

دَخَلْتُ إِلَـىٰ صَـدِيْقٍ لِي أَعُوْدُهُ وتَرَكْتُ حِمَارِي عَلىٰ البَّابِ، ولَمْ يَكُنْ مَعَيَ غُلَامٌ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَإِذَا فَوْقَهُ صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: لِمَ رَكِبْتَ حِمَارِي بِغَيْرِ إِذْنِي؟

قَالَ: خِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ فَحَفِظْتُهُ لَكَ.

قُلْتُ: لَوْ ذَهَبَ كَانَ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ بَقَائِهِ.

قَالَ: فَإِنْ كَانَ هَذَا رَأْيُكَ فِي الحِمَارِ فَاعْمَلْ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ، وهَبْهُ لِي، وارْبَحْ شُكْرِي، فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُوْلُ)[١].

(١) «تاريخ مدينة السلام وأَخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أَهلها وواردِيها» (ص ٢٠) للإمام الحافظ أَبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

٣٧





دِيْوَان، دِيْوَان

(حَدَّثَنَا ابنُ نُمَيرٍ، عَن سُلَيْمانَ بنِ مَرْوَانَ، عَن الأَعْمَشِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ: اِنْتَهَيْنا إِلَىٰ دِجْلَةَ وهِيَ مَادَّةٌ ـ أَيْ: مُرْتَفِعَةٌ ـ والأَعَاجِمُ خَلْفَها، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ المُسْلِمِيْنَ:

بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ اِقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ فَارْتَفَعَ عَلَى المَاءِ.

فَقَالَ النَّاسُ: بِسْمِ اللهِ. ثُمَّ اقْتَحَمُوا فَارْتَفَعُوا عَلَى المَاءِ، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِم الأَعَاجِمُ قَالُوا: دِيْوَان، دِيْوَان ـ أَيْ: مَجانِيْنُ بالفَارِسِيَّةِ ـ ثُمَّ ذَهَبُوا عَلَىٰ وُجُوهِهِم، فَمَا فَقَدُوا إِلَّا قَدَحًا كَانَ مُعَلَّقًا بِعَذَبَةِ ـ أَيْ: طَرَفِ ـ سَرْجٍ؛ فَلَمَا خَرَجُوا أَصَابُوا الغَنَائِمَ فَاقْتَسَمُوهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُولُ: مَنْ يُبَادِلُ صَفْرَاءَ بِبَيْضَاءَ)[١].



(١) كتاب «دلائل النبوة» (٦/ ٥٣) لأَبي بكر البيهقي، متوفى ٤٥٨هـ.

٣٨



إِلَّا مَا أَحَبَّهُ اللّٰهُ تَعَالَى



(حَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي عَوْفٍ التَّاجِرُ، قَالَ:

ضَاقَ صَدْرِي فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ ضِيقًا شَدِيْدًا لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ، فَتَقَدَّمْتُ إِلىٰ مَنْ حَمَلَ لِي طَعَامًا كَثِيْرًا وفَاكِهَةً وعِدَّةً مِنْ جَوَارِيَّ إِلَىٰ بُسْتَانٍ لِي عَلَىٰ نَهْرِ عِيْسَىٰ.

وأَمَرْتُ غِلْمَانِي وأَصْحَابِي أَنْ لَا يَجِيْئَنِي أَحَدٌ مِنْهُم بِخَبَرٍ يَشْغَلُ قَلْبِي ولَوْ ذَهَبَ مَالِي كُلُّهُ، ولَا يُكَاتِبَنِي.

وعَمِلْتُ علىٰ أَنْ أُقِيْمَ فِي البُسْتَانِ بَقِيَّةَ أُسْبُوْعِي أَتَفَرَّجُ مَعَ أُوْلَئِكَ الجَوَارِي؛ فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنَ البُسْتَانِ، اِسْتَقْبَلَنِي سَاعٍ مَعَهُ رَسَائِلُ، فَقُلْتُ لَهُ:

مِنْ أَيْنَ وَرَدْتَ؟ فَقَالَ: مِنَ الرَّقَّةِ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقِفَ علىٰ كُتُبِهِ وأَخْبَارِ الرَّقَّةِ وأَسْعَارِهَا.

فَقُلْتُ: أَنْتَ قَرِيبٌ مِنْ بُسْتَانٍ لِي، فَتَعَالَ مَعِي حَتَّىٰ تَسْتَرِيْحَ اللَّيْلَةَ في البُسْتَانِ، وأُغَيِّرَ حَالَكَ، وأُطْعِمَكَ، وتَدْخُلَ بَغْدَادَ غَدًا.

فَقَالَ: نَعَمْ، ومَشَى مَعِيَ رَاجِعًا حَتَّىٰ دَخَلْنَا البُسْتَانَ، فَأَمَرْتُ مَنْ فِيهِ أَنْ يُدْخِلَهُ حَمَّامًا، ويُغَيِّرَ ثِيَابَهُ بِبَعْضِ ثِيَابِ غِلْمَانِي ويُطْعِمَهُ، فَابْتَدَؤُوا مَعَهُ في ذَلِكَ، وتَقَدَّمْتُ إِلىٰ غُلَامٍ لِي فَسَرَقَ كُتُبَهُ، وجَاءَنِي بِهَا فَفَتَحْتُهَا، وقَرَأْتُ جَمِيعَ مَا فِيْهَا، وعَرَفْتُ مِنْ أَسْرَارِ التُّجَّارِ الَّذِينَ يُعَامِلُوْنَنِي شَيْئًا كَثِيْرًا، وتَفَرَّجْتُ بِذَلِكَ.

ووَجَدْتُ جَمِيْعَ الكُتُبِ تَنْصَحُ التُّجَّارَ بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِمَا في أَيْدِيْهِم مِنَ الزَّيْتِ، ولَا يَبِيْعُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ قَدْ غَلَا عِنْدَهُم وعَزَّ، فَأَنْفَذْتُ إِلَى وُكَلَائِي في الحَالِ فَاسْتَدْعَيْتُهُم، وقُلْتُ لَهُم:

خُذُوا مِنْ فُلَانٍ الصَّيْرَفِيِّ وفُلَانٍ الصَّيْرَفِيِّ كُلَّ ما عِنْدَهُم مِنَ الدَّنَانِيْرِ والدَّرَاهِمِ السَّاعَةَ، ولَا يَنْقَضِي اليَوْمُ إِلَّا وتَبْتَاعُوْنَ

كُلَّ مَا تَقْدِرُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الزَّيْتِ، واكْتُبُوا إِلَيَّ عِنْدَ اِنْقِضَاءِ النَّهَارِ بِالصُّوْرَةِ، فَمَضَوا فَلَمَّا كَانَ العِشَاءُ جَاءَنِي خَبَرُهُم بِأَنَّهُم قَدْ اِبْتَاعُوا زَيْتًا بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِيْنَارٍ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِم بِقَبْضِ أُلُوْفِ دَنَانِيْرَ أُخَرَ، وبِشِرَاءِ كُلِّ مَـا يَقْدِرُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الزَّيْتِ.

وأَصْبَحْنَا فَدَفَعْتُ إِلَى السَّاعِي ثَلَاثَةَ دَنَـانِيْرَ، وقُـلْتُ لَهُ: إِنْ أَقَمْتَ عِنْدِي دَفَعْتُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةَ دَنَانِيْرَ أُخْـرَىٰ.

فَـقَـالَ: أَفْـعَلُ، وجَاءَتْنِي رُقْعَةُ أَصْحَابِي بِأَنَّهُم اِبْتَاعُوا زَيْتًا بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وأَنَّ سِعْرَهُ قَدْ غَلَا لِطَلَبِهِم إِيَّاهُ.

فَكَتَبْتُ بِأَنْ يَبْتَاعُوا كُلَّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وإِنْ كَانَ السِّعْرُ قَدْ زَادَ، وشَاغَلْتُ الرَّسُولَ اليَوْمَ الثَّالِثَ، ودَفَعْتُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمَيْنِ سِتَّةَ دَنَانِيْرَ، وأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وابْتَاعَ أَصْحَابِي بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِيْنَارٍ أُخْرَىٰ، وجَاؤُونِي عَشِيًّا فَقَالُوا:

كَانَ مَا اِبْتَعْنَاهُ اليَوْمَ زَائِدًا عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ فِي السِّعْرِ، فِي كُلِّ عَشَرَةٍ نِصْفُ دِرْهَمٍ، ولَمْ يَبْقَ فِي السُّوْقِ شَيْءٌ يُفَكَّر فِيْهِ، فَصَرَفْتُ الرَّسُوْلَ وأَقَمْتُ فِي بُسْتَانِي أَيَّامًا، ثُمَّ عُدْتُ إِلَىٰ

دَارِي، وقَدْ قَرَأَ التُّجَّارُ الكُتُبَ، وعَرَفُوا خَبَرَ الزَّيْتِ بِالرَّقَّةِ، فَجَاؤُوْنِي يُهْرَعُوْنَ ويَبْذُلُوْنَ في الزَّيْتِ زَيَادَةَ اِثْنَيْنِ في العَشَرَةِ، فَلَمْ أَبِعْ، فَبَذَلُوا زِيَادَةَ ثَلَاثَةٍ في العَشَرَةِ، فَلَمْ أَبِعْ، ومَضَى عَلَى ذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ شَهْرٍ، فَجَاؤُوْنِي يَطْلُبُوْنَ زِيَادَةَ خَمْسَةٍ وسِتَّةٍ، فَلَمْ أَفْعَلْ، فَجَاؤُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يَعْرِضُوْنَ شِرَاءَ الزَّيْتِ بِعِشْرِيْنَ أَلْفَ دِيْنَارٍ، فَبِعْتُهُ.

ونَظَرْتُ فَلَمْ يَكُنْ لِضِيْقِ صَدْرِي وانْفِرَادِي في البُسْتَانِ ذَلِكَ اليَوْمِ سَبَبٌ إِلَّا مَا أَحَبَّهُ اللهُ تَعالَىٰ، أَنْ يُوصِلَ إِلَيَّ رِبْحَ عَشَرَةِ آلَافِ دِيْنَارٍ)[1].



(١) «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٢/ ١١٦) للقاضي أَبي علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي البصري، متوفى ٣٨٤هـ.

٣٩




اِجْلِسْ مِنِّي قَيْدَ رُمْحٍ

(عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِمُعَيْقِيْبٍ ـ وكَانَ بِهِ ذَلِكَ الدَّاءُ، وكَانَ بَدْرِيًّا ـ:

«اِجْلِسْ مِنِّي قَيْدَ رُمْحٍ»

ـ قُرابَةَ مِتْرٍ وزِيَادَةٍ ـ)[١].



(١) «شرح صحيح البخاري» (ص ٤١١) لابن بطال، متوفى ٤٤٩هـ.



لَا يَحْمِلُوا أَحَداً بِلِجَامٍ ثَقِيْلٍ



(كَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ ﵀ إِلىٰ حَيَّانَ بِمِصْرَ:

إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ بِمِصْرَ إِبِلًا نَقَّالَاتٍ، يُحْمَلُ عَلَى البَعِيْرِ مِنْهَا أَلْفُ رَطْلٍ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى البَعِيْرِ أَكْثَرُ مِن سِتِّمِئَةِ رَطْلٍ.

وكَتَبَ إِلىٰ صَاحِبِ السِّكَكِ: أَنْ لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ ثَقِيْلٍ مِنْ هَذِهِ الرَّسْتَنِيَّةِ، ولَا يَنْخَسْ ـ غَرْزُ مَؤَخِّرِها أو جَنْبِها بِعُودٍ ـ بِمِقْرَعَةٍ ـ خَشَبَةٌ تُضْرَبُ بِها البِغَالُ والحَمِيْرُ ـ في أَسْفَلِها حَدِيْدَةٌ)[١].



(١) كتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص ١٦٠) لابن عبد الحكم، متوفى ٢١٤هـ.

٤١



الحَقُّ مَعَكَ



(رُوِيَ عَنْ إِيَاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا غَلَبَنِي أَحَدٌ قَطُّ سِوَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ في مَجْلِسِ القَضَاءِ بِالبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ شَهِدَ عِنْدِي أَنَّ البُسْتَانَ الفُلَانِيَّ ـ وذَكَرَ حُدُودَهُ ـ هُوَ لِفُلانٍ مِلْكٌ ـ أَيْ: مَالِكٌ ـ فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ عَدَدُ شَجَرِهِ؟

فَسَكَتَ! ثُمَّ قَالَ لِي: مُنْذُ كَمْ يَحْكُمُ سَيِّدُنا القَاضِي في هَذا المَجْلِسِ؟ فَقُلْتُ: مُنْذُ كَذَا!

فَقَالَ: كَمْ عَدَدُ خَشَبِ سَقْفِهِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: الحَقُّ مَعَكَ، وأَجَزْتُ شَهَادَتَهُ)[١].

***

(١) كتاب «وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزمان» (٧/ ٣٥٠) لأبي عباس شمس الدين بن خلكان، متوفى ٦٨١هـ.

٤٢



فَأَصابَ فاحِشَةً، أَثِمَ الأَبُ



قَالَ التَّابعيُّ قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(كَانَ يُقَالُ: إِذَا بَلَغَ الغُلَامُ فَلَمْ يُزَوِّجْهُ أَبُوهُ، فَأَصَابَ فَاحِشَةً؛ أَثِمَ الأَبُ)[١].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[٢].



(١) كتاب «العيال» (١/ ١٧٢) لأَبي بكر البغدادي (ابن أَبي الدنيا) متوفى ٢٨١هـ.

(٢) «متفق عليه».

٤٣



فَهِيَ واللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الرَّفْضِ



قَالَ هِلالُ بنُ عَطِيَّةَ لِبَشَّارٍ ـ وكَانَ صَدِيْقًا لَهُ يُمَازِحُهُ ـ:

إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُذْهِبْ بَصَرَ أَحَدٍ إِلَّا عَوَّضَهُ شَيْئًا، فَمَا عَوَّضَكَ؟ فقَالَ: الطَّوِيْلَ العَرِيْضَ. قَالَ: ومَا هُوَ؟

قَالَ: لَا أَرَاكَ ولَا أَمْثَالَكَ مِنْ الثُّقَلاءِ، ثُمَّ قَالَ: يَا هِلالُ! أَتُطِيْعُنِي في نَصِيْحَةٍ أَخُصُّكَ بِها؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَسْرِقُ الحَمِيْرَ زَمَانًا، ثُمَّ تُبْتَ وصِرْتَ رَافِضِيًّا، فَعُدْ إِلَىٰ سَرِقَةِ الحَمِيْرِ؛ فَهِيَ واللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الرَّفْضِ)[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب «وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزمان» (١/ ٣٨٤) لأَبي عباس أَحمد بن خلكان، متوفى ٦٨١هـ.

٤٤




إِبْلِيْسُ وجُنُوْدُهُ

(قَـالَ بَعْـضُ السَّـلَفِ: إِذَا اِجْتَمَـعَ إِبْلِيْـسُ وجُنُـودُهُ لَـمْ يَفْرَحُـوا بِشَـيْءٍ كَفَرَحِهِـم بِثَلاثَـةِ أَشْـيَاءَ:

* مُؤْمِنٍ قَتَلَ مُؤْمِنًا.
* ورَجُلٍ يَمُوتُ عَلَى الكُفْرِ.
* وقَلْبٍ فِيْهِ خَوْفُ الفَقْرِ)[١].



(١) كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ٦٧) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٤٥



لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّهُ



(حُكِيَ عَنْ إِبْلِيْسَ - لَعَنَهُ اللهُ - أَنَّهُ حَيْنَ ظَهَرَ لِعِيْسَى بنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَالَ: أَلَسْتَ تَقُولُ: إِنَّهُ لَنْ يُصِيْبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَارْمِ نَفْسَكَ مِنْ ذُرْوَةِ هَذَا الجَبَلِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدِّرْ لَكَ السَّلامَةَ تَسْلَمْ!

فَقَالَ لَهُ: يَا مَلْعُونُ! إِنَّ للهِ أَنْ يَخْتَبِرَ عِبَادَهُ، ولَيْسَ لِلعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّهُ)[1].



(١) كتاب «أَدب الدنيا والدين» (ص١١) لأَبي الحسن البصري الماوردي، متوفى ٤٥١هـ.

٤٦
مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ اِمْرَأَتِهِ

عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ إِبْلِيْسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُم مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُم فِتْنَةً، يَجِيْءُ أَحَدُهُم فَيَقُولُ:

فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا!

قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُم فيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ اِمْرَأَتِهِ.

قَالَ: فَيُدْنِيْهِ مِنْهُ، ويَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ[١]».

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٢٨١٣).

٤٧



أَنْ يُوَسْوِسَ إِلَيَّ في أَرْزَاقِهِم



قَالَ الإِمامُ الزَّاهد أَبُو تُرَاب النَّخشبي رحمه الله:

(سَمِعْتُ حَاتِمًا يَقُوْلُ: لِي أَرْبَعَةُ نِسْوَةٍ، وتِسْعَةُ أَوْلَادٍ، مَا طَمِعَ شَيْطَانٌ أَنْ يُوَسْوِسَ إِلَيَّ في أَرْزَاقِهِم)[1].



(١) كتاب «سير أَعلام النبلاء» (١١/ ٤٨٥) للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ.




وأَنْتَ تَزْهو باللَّهْوِ واللَّعِبِ

(يَا مُخَنثَ العزْمِ! أَيْنَ أَنْتَ وَالطَّرِيقُ؟:

طَرِيْقٌ تَعِبَ فِيْهِ آدَمُ، ونَاحَ لِأَجْلِهِ نُوْحٌ، ورُمِيَ في النَّارِ الخَلِيْلُ، وأُضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيْلُ.

وبِيْعَ يُوْسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ولَبِثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنِيْنَ، ونُشِرَ بالمِنْشَارِ زَكَرِيَّا.

وذُبِحَ السَّيِّدُ الحَصُورُ يَحْيَىٰ، وقَاسَى الضُّرَّ أَيُّوْبُ، وزَادَ عَلَى المِقْدَارِ بُكَاءُ دَاوُدَ.

وسَارَ مَعَ الوَحْشِ عِيْسَىٰ، وعَالَجَ الفَقْرَ وأَنْوَاعَ الأَذَى مُحَمَّدٌ ﷺ .. **وأَنْتَ تَزْهُو باللَّهْوِ واللَّعِبِ**)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «الفوائد» (ص٤٢) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٤٩



فَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَصْلحُ أَنْ يَكوْنَ رَآها غيْرُكَ



(حَدَّثَ أَبُو عَليٍّ الأَهْوَازِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ:

كَانَ بَيْنَ الحَسَنِ البَصْرِيِّ وبَيْنَ اِبْنِ سِيْرِيْنَ هِجْرَةٌ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ اِبْنُ سِيْرِيْنَ عِنْدَ الحَسَنِ يَقُوْلُ: دَعُوْنَا مِن ذِكْرِ الحَاكَةِ، وكَانَ بَعْضُ أَهْلِ اِبْنِ سِيْرِيْنَ حَائِكًا، فَرَأَى الحَسَنُ في مَنَامِهِ كَأَنَّهُ عُرْيَانٌ، وهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ مَزْبَلَةٍ يَضْرِبُ بِالعُوْدِ، فَأَصْبَحَ مَهْمُوْمًا بِرُؤْيَاهُ.فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: اِمْضِ إِلَىٰ اِبْنِ سِيْرِيْنَ، فَقُصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ عَلَىٰ أَنَّكَ أَنْتَ رَأَيْتَهَا. فَدَخَلَ عَلَىٰ اِبْنِ سِيْرِيْنَ وذَكَرَ لَهُ الرُّؤْيَا. فَقَالَ اِبْنُ سِيْرِيْنَ: قُلْ لِمَنْ رَأَىٰ هَذِهِ الرُّؤْيَا، لَا تَسْأَلْ الحَاكَةَ عَنْ مِثْلِ هَذَا.

فَأَخْبَرَ الرَّجُلُ الحَسَنَ بِمَقَالَتِهِ، فَعَظُمَ لَدِيْهِ، وقَالَ: قُوْمُوا بِنَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ اِبْنُ سِيْرِيْنَ، قَامَ إِلَيْهِ وتَصَافَحَا وسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وجَلَسَا يَتَعَاتَبَانِ، فَقَالَ الحَسَنُ:

دَعْنَا مِنْ هذَا، فَقَدْ شَغَلَتْ الرُّؤْيَا قَلْبِي، فَقَالَ اِبْنُ سِيرِيْنَ: لَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ؛ فَإِنَّ العَرِيَّ عَرِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا، لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا عَلَقَةٌ، وأَمَّا المَزْبَلَةُ فَهِيَ الدُّنْيَا وقَدْ اِنْكَشَفَتْ لَكَ أَحْوَالُهَا، فَأَنْتَ تَرَاهَا كَمَا هِيَ فِي ذَاتِهَا، وأَمَا ضَرْبُكَ بِالعُوْدِ، فَإِنَّهُ الحِكْمَةُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِهَا ويَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ. فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ: فَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَنَا رَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا؟ قَالَ اِبْنُ سِيرِيْنَ: لَمَّا قَصَّهَا عَلَيَّ فَكَّرْتُ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ رَآهَا غَيْرُكَ.

وقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ سِيرِيْنَ قَبْلَ مَوْتِ الحَسَنِ: رَأَيْتُ كَأَنَّ طَائِرًا أَخَذَ أَحْسَنَ حَصَاةٍ بِالمَسْجِدِ! فَقَالَ اِبْنُ سِيرِيْنَ: إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ؛ مَاتَ الحَسَنُ. فَلَمْ يَكُنْ غَيْرُ قَلِيْلٍ حَتَّىٰ مَاتَ الحَسَنُ. ولَمْ يَحْضُرِ اِبْنُ سِيرِيْنَ جَنَازَتَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ تَوُفِّيَ اِبْنُ سِيرِيْنَ بَعْدَهُ بِمِئَةِ يَوْمٍ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «الوافي بالوفيات» (١٢/ ١٩١) لصلاح الدين خليل بن أَيبك الصفدي، متوفى ٧٦٤هـ.

٥٠




مَا اغْتَسَلَ؛ فَهُوَ مَجْنُوْنٌ

(جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ اِبْنِ عَقِيْلٍ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَغْتَمِسُ في النَّهْرِ غَمْسَتَيْنِ وثَلَاثًا، ولَا أَتَيَقَّنُ أَنَّهُ قَدْ عَمَّنِي المَاءُ ولَا أَنِّي قَدْ تَطَهَّرْتُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تُصَلِّ، قِيْلَ لَهُ: كَيْفَ قُلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«رُفِعَ القَلَمُ عَنْ المَجْنُوْنِ حَتَّىٰ يَفِيْقَ».

ومَنْ يَنْغَمِسْ فِي النَّهْرِ مَرَّتَيْنِ وثَلَاثًا ويَظُنُّ أَنَّهُ مَا اِغْتَسَلَ؛ فَهُوَ مَجْنُوْنٌ)[1].



---

(١) «أخبار الظراف والمتماجنين» لأبي الفرج الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٥١



فَلْيُؤْثِرِ اللّه عَلَى شَهْوَتِه



(مَنْ أَرَادَ صَفَاءَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُؤْثِرِ اللهَ عَلَىٰ شَهْوَتِهِ)(١).

قَالَ تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].



(١) كتاب «بدائع الفوائد» (ص ١٤٦ ـ ١٤٧) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٥٢




مَا خَلَا الشِّرْكَ

(سَمِعْتُ الرَّبِيْعَ بنَ سُلَيْمَانَ يَقُوْلُ:

سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ:

لأَنْ يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ العَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلا الشِّرْكَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ الأَهْوَاءِ)[١].

قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].



(١) رواه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦) و«تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٠٩) لابن عساكر.

٥٣




إِنَّما أَوْصَلَهُ إِلَى ذَلِكَ مُخالَفَةُ هَوَاهُ

قَالَ اِبنُ القَيِّمِ رحمه الله: (إِذَا تَأَمَّلْتَ السَّبْعَةَ الَّذِيْنَ يُظِلُّهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَجَدْتَهُم إِنَّمَا نَالُوا ذَلِكَ الظِّلَّ بِمُخَالَفَةِ الهَوَىٰ.

فَإِنَّ الإِمَامَ المُسَلَّطَ القَادِرَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ العَدْلِ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهُ؛ لأَنَّ عِنْدَهُ مِنْ القُوَّةِ والنُّفُوذِ والسَّيْطَرَةِ مَا يَسْتَطِيْعُ بِهِ بِسُهُوْلَةٍ أَنْ يُتَابِعَ هَوَاهُ، فَلَمَّا قَاوَمَ نَفْسَهُ، وقَاوَمَ هَوَاهُ وحَكَّمَ شَرْعَ اللهِ تَعَالَىٰ، ولَمْ يَتَّبِعْ شَهَوَاتِهِ، وعَدَلَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ؛ كَانَ لَهُ الظِّلُّ يَوْمَ أَنْ تَدْنُوَ الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوْسِ العِبَادِ.

والشَّابُّ المُؤْثِرُ عِبَادَةَ اللهِ عَلَىٰ دَاعِي الشَّبَابِ، لَوْلَا مُخَالَفَةُ هَوَاهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

والرَّجُلُ الَّذِي قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ

ذَلِـكَ مُخَالَفَـةُ هَـوَاهُ الدَّاعِي لَـهُ إِلَـى أَمَاكِنِ اللَّـذَاتِ، وصَارَ يَذْهَـبُ إِلَـى أَمَاكِـنِ العِبَـادَةِ والمَسَـاجِدِ، أَعَقْـبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَـهُ الأَجْـرَ الجَزِيْـلَ بِـأَنْ أَظَلَّـهُ في ظِلِّ عَرْشِـهِ.

والمُتَصَدِّقُ المُخْفِي لِصَدَقَتِهِ عَـنْ شِمَالِهِ لَوْلَا قَهْرُهُ لِهَوَاهُ، هَوَى الرِّيَاءِ، وهَوَىٰ أَنْ يُشَاهِدَهُ النَّاسُ، وأَنْ يَتَحَدَّثُوا عَـنْ كَرَمِهِ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

والَّذِي دَعَتْهُ المَرْأَةُ الشَّرِيْفَةُ الجَمِيْلَةُ، فَخَافَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وخَالَفَ هَوَاهُ؛ نَالَ نَفْسَ الكَرَامَةِ.

والَّذِي ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَتِهِ، إِنَّما أَوْصَلَهُ إِلىٰ ذَلِكَ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ.

فَلَـمْ يَكُـنْ لِحَـرِّ المَوْقِفِ وعَرَقِـهِ وشِـدَّتِّهِ سَـبِيْلًا عَلَيْهِم يَـوْمَ القِيَامَةِ[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) كتاب «روضة المحبِّين» (ص ٢٨٢) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٥٤



فوالله، لا أُؤْذِيك



عَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِيْنِي، فَقَالَ: «اِنْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ».

فَانْطَلَقَ فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَـا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لِي جَارٌ يُؤْذِيْنِي، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

«انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ».

فَجَعَلُوا يَقُولُوْنَ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ اخْزِهِ!

فَبَلَغَهُ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: اِرْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَوَاللهِ، لَا أُؤْذِيكَ)[١].



(١) «الأَدب المفرد» للإِمام البخاري.

٥٥



مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ



عَنْ التَّابعيِّ أَبِي الجُوَيْرِيَّةِ الجَرْمِيِّ الْكُوفِي رحمه الله قَالَ:

(كَتَبَ قَيْصَرُ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ: أَخْبِرْنِي عَمَّنْ لَا قِبْلَةَ لَهُ، وعَمَّنْ لَا أَبَ لَهُ، وعَمَّنْ لَا عَشِيْرَةَ لَهُ، وعَمَّنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ، وعَنْ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ في رَحِمٍ، وعَنْ شَيْءٍ، ونِصْفِ شَيْءٍ، ولَا شَيْءٍ؟ وابْعَثْ إِلَيَّ في هَذِهِ القَارُوْرَةِ ببِزْرِ كُلِّ شَيْءٍ.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ بِالكِتَابِ والقَارُوْرَةِ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقِيْلَ: إِنَّ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالكِتَابِ والقَارُوْرَةِ.

أَمَّا مَنْ لَا قِبْلَةَ لَهُ فَالكَعْبَةُ.

وأَمَّا مَنْ لَا أَبَ لَهُ فَعِيْسَىٰ.

وأَمَّا مَنْ لَا عَشِيْرَةَ لَهُ فَآدَمُ.

وأَمَّا مَنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ فَيُوْنُسُ.

وأَمَّا ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ لَمْ تُخلَقْ في رَحِمٍ فكَبْشُ إِبْرَاهِيْمَ، ونَاقَةُ ثَمُوْدَ، وعَصَا مُوْسَىٰ.

وأَمَّا شَيْءٌ فَالرَّجُلُ لَهُ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ، وأَمَّا نِصْفُ شَيْءٍ فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ويَعْمَلُ بِرَأْيِ ذَوِي العُقُوْلِ.

وأَمَّا لَا شَيْءَ فَالَّذِي لَيْسَ بِهِ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ.

ومَلأَ القَارُوْرَةَ مَاءً، وقَالَ: هَذَا بِزْرُ كُلِّ شَيْءٍ.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ بِالبِزْرِ والقَارُوْرَةِ إِلَىٰ قَيْصَرَ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الكِتَابُ والقَارُوْرَةُ قَالَ:

مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بِيْتِ نُبُوَّةٍ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «تاريخ مدينة دمشق» (٧٣/ ٢٠١) للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بـ(ابن عساكر) متوفى ٥٧١هـ.

٥٦



إِنْ كَانَ يُرِيْدُ أَنْ يُوَبِّخَنِي؛ فَلَا



(قِيْلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ:

أَتُحِبُّ أَنْ يُخْبِرَكَ أَحَدٌ بِعُيُوبِكَ؟

فَقَالَ: إِنْ كَانَ يُرِيْدُ أَنْ يُوَبِّخَنِي؛ فَلَا)[(١)].

---

(١) «مجموع الرسائل» (ص٤١٠) للحافظ زين الدين أَبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.

٥٧



لَوْ رَأَيْتُ فِي الجَزَعِ مُدْرِكًا مَا اِخْتَرْتُ عَلَيْهِ



(ذَكَرَ سَعِيْدُ أَبُو عُثْمَانَ، وهُوَ ثِقَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، قَالَ: نَظَرَ رَجُلٌ إِلىٰ اِمْرَأَةٍ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذا الحُسْنِ وهَذِهِ النَّضَارَةِ، ومَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الحُزْنِ.

فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ! واللهِ إِنِّي لَيَذْبَحُنِي الحُزْنُ مَا يُشْرِكُنِي فِيْهِ أَحَدٌ! قَالَ: وكَيْفَ؟ قَالَتْ: ذَبَحَ زَوْجِي شَاةً مُضَحِّيًا، ولِي صَبِيَّانِ يَلْعَبَانِ، فَقَالَ أَكْبَرُهُما لِلأَصْغَرِ: أُرِيْكَ كَيْفَ صَنَعَ أَبِي بِالشَّاةِ؟ فَعَلَّقَهُ فَذَبَحَهُ، فَمَا شَعَرْنَا بِهِ إِلَّا مُتَشَحِّطًا - أَيْ: مُضَرَّجًا بِدَمِهِ - فَلَمَّا اِسْتَعْلَتْ الضَّجَّةُ هَرَبَ الغُلامُ نَاحِيَةَ الجَبَلِ، فَرَهِقَهُ - أَيْ: لَحِقَهُ - ذِئْبٌ فَأَكَلَهُ، ونَحْنُ لَا نَعْلَمُ، واِتَّبَعَهُ أَبُوهُ يَطْلُبُهُ فَمَاتَ عَطَشًا؛ فَأَفْرَدَنِي الدَّهْرُ.

قَالَ: فَكَيْفَ صَبْرُكِ؟ قَالَتْ: لَو رَأَيْتُ فِي الجَزَعِ مُدْرِكًا مَا اِخْتَرْتُ عَلَيْهِ)[1].

---

(١) كتاب «صفوة الصفوة» (٢/ ٣٥٣) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٥٨



فَإِنَّ الأَعْمَالَ تُوْرِثُ الصِّفَاتِ



أَقْوَالٌ مِأْثُوْرَةٌ عَنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ أَبِي العَبَّاسِ تَقِي الدِّيْنِ الحَرَّانِيِّ المُتَوَفَّى ٧٢٨هـ:

(الصَّبْرُ عَنْ الشَّهْوَةِ؛ أَسْهَلُ مِنْ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تُوْجِبُهُ الشَّهْوَةُ، فَإِنَّها:

إِمَّا أَنْ تُوجِبَ أَلَمًا وعُقُوبَةً.

وإِمَّا أَنْ تَقْطَعَ لَذَّةً أَكْمَلَ مِنْها.

وإِمَّا أَنْ تُضَيِّعَ وَقْتًا إِضَاعَتُهُ حَسْرَةٌ ونَدَامَةٌ.

وإِمَّا أَنْ تَثْلِمَ عِرْضًا تَوْفِيْرُهُ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَلْمِهِ.

وإِمَّا أَنْ تُذْهِبَ مَالًا بَقَاؤُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَهَابِهِ.

وإِمَّا أَنْ تَضَعَ قَدْرًا وجَاهًا قِيَامُهُ خَيْرٌ مِنْ وَضْعِهِ.

وإِمَّا أَنْ تَسْلُبَ نِعْمَةً بَقَاؤُها أَلَذُّ وأَطْيَبُ مِنْ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ.

وإِمَا أَنْ تَطْرُقَ لِوَضِيعٍ إِلَيْكَ طَرِيْقًا لَمْ يَكُنْ يَجِدُها قَبْلَ ذَلِكَ.

وإِمَّـا أَنْ تَجْلِبَ هَمًّـا، وغَمًّا، وحُزْنًا، وخَوْفًـا، لَا يُقَارِبُ لَذَّةَ الشَّهْوَةِ،.

وإِمَّا أَنْ تُنْسِيَ عِلْمًا ذِكْرُهُ أَلَذُّ مِنْ نَيْلِ الشَّهْوَةِ.

وإِمَّا أَنْ تُشْمِتَ عَدُوًّا، أَوْ تُحْزِنَ وَلِيًّا.

وإِمَّا أَنْ تَقْطَعَ الطَّرِيْقَ عَلَىٰ نِعْمَةٍ مُقْبِلَةٍ.

وإِمَّا أَنْ تُحْدِثَ عَيْبًا يَبْقَىٰ صِفَةً لَا تَزُوْلُ.

فَإِنَّ الأَعْمَالَ تُوْرِثُ الصِّفَاتِ والأَخْلاقَ)[١].

(١) كتاب «الفوائد» (ص ٢٠٤) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٥٩



لَأَنْ أَنْدمَ في العَفْوِ



(كَانَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقُوْلُ:

لَأَنْ أَنْدَمَ في العَفْوِ، أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَنْدَمَ عَلَى العُقُوْبَةِ)[١].

قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].



(١) كتاب «الآداب الشرعية» (ص١٤٣) لأَبي عبد الله شمس الدين المقدسي، متوفى ٦٨٢هـ.



مَرَارَةُ الصَّبْرِ



قَالَ اِبنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ:

(مَنْ تَلَمَّحَ حَلَاوَةَ العَافِيَةِ؛ هَانَتْ عَلَيْهِ مَرَارَةُ الصَّبْرِ.

وقَالَ: مَا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ صَعْبٍ إِلَّا هَانَ.

ولَا عَلَىٰ عَسِيْرٍ إِلَّا تَيَسَّرَ.

ولَا مَشَقَّةٍ إِلَّا خَفَّتْ.

ولَا شِدَّةٍ إِلَّا زَالَتْ.

ولَا عَلَىٰ كُرْبَةٍ إِلَّا اِنْفَرَجَتْ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «بدائع الفوائد» (ص ٥٧) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٦١




الصَّبْرُ

(المُؤْمِنُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ؛ كَما يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ والشَّرَابِ)[١].

قَالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].



(١) كتاب «الصَّبر» (ص٨٤) لعبد الله القرشي المعروف بـ(ابن ابي الدنيا) متوفى ٢٨١هـ.

٦٢



المُلُوْكُ قَصْدُهُمْ الدُّنْيَا



قَـالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ:

(فَلِهَذَا لَمَّا غَلَبَ عَلَىٰ أَكْثَرِ المُلُوكِ قَصْدُ الدُّنْيا دُوْنَ الدِّيْنِ؛ قَدَّمُوا في وِلَايَتِهِم مَنْ يُعِيْنُهُم عَلَىٰ تِلْكَ المَقَاصِدِ ـ الدُّنْيا ـ وكَانَ مَنْ يَطْلُبُ رِئَاسَةَ نَفْسِهِ ـ يَوَافِقُ أَهْوَاءَهُ ـ يُؤْثِرُ تَقْدِيْمَ مَنْ يُقِيْمُ ـ يُسَانِدُ ـ رِئَاسَتَهُ؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا هَوَ المَقْصُودُ فَإِنَّهُ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ ـ مِنْ أَقْرِبائِهِ ونُظَرائِهِ ـ ويَنْظُرُ إلى الرَّجُلَيْنِ، أَيُّهُما أَقْرَبُ إِلى المَقْصُودِ وُلِّيَ ـ أَي: يُسَانِدُهُ في أُمُورِ الدُّنْيا، وإِنْ كَانَ وُجِدَ مَن هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وأَدْيَنُ وأَصْدَقُ ـ) [(١)].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» (ص٢٨) لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين الحراني. متوفى ٧٢٨هـ. بتصرف.

٦٣



حَتَّى يَصِيْرَ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ



(كَانَ مُسْلِمُ بنُ قُتَيْبَةَ ﵀ يَقُولُ:

مِنْ أَعْظَمِ المُرُوْءَةِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَذَى الرِّجَالِ.

ولَقَدْ أَدْرَكْنَا النَّاسَ وهُم يَعُدُّوْنَ الإِمَارَةَ أَعْظَمَ بَلَاءٍ، ونَرَاهُم اليَوْمَ يَطْلُبُونَها!

وكَانُوا إِذَا تَوَلَّىٰ صَدِيْقُهُم الإِمَارَةَ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ! أَنْسِهِ ذِكْرَنَا حَتَّىٰ يَصِيْرَ - أَيْ: الأَمِيْرُ - لَا يَعْرِفُنَا ولَا نَعْرِفُهُ)[(١)].



(١) كتاب «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» (ص ٤٣) لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

٦٤



لِمَاذا سَقَطتْ قُرْطُبَةُ؟



(بَلَغَ مِنْ اسْتِخْفَافِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ بالإِسْلَامِ في هَذِهِ الفِتْنَةِ، أَنَّ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا وَقَفَ في أَعْظَمِ شَوَارِعِ قُرْطُبَةَ، فقَالَ ونَالَ مِن النَّبِيِّ ﷺ فلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ، فقَالَ رَجُلٌ مِن المُسْلِمِيْنَ غَيْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تُنْكِرُونَ مَا تَسْمَعُونَ، أَمَا أَنْتُم مُسْلِمُونَ؟!

فَقَالَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ: اِمْضِ لِشُغْلِكَ، وكَانَ الإِفْرَنْجُ إِذَا سَمِعُوا الأَذَانَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُونَ قَوْلًا لَا يُذْكَرُ، فَلا يَعْتَرِضُ عَلَيهِم أَحَدٌ بِشَيءٍ.

وسَأَلُوا القَاضِيَ اِبنَ ذَكْوَانَ[1] أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِم مَالَ الأَحْبَاسِ المُوْدَعَ في مَقْصُوْرَةِ الجَامِعِ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِم، فَكَسَرُوا بَابَ المَقْصُوْرَةِ وأَخَذُوا، فَدَفَعُوهُ إِلَى الإِفْرَنجِ)[2].

---

(١) هو أبو عباس الأموي، متوفى ٤١٣هـ.

(٢) كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» (٣/ ٩٧ ـ ٩٨) لابن



ظَهَرَ الفَسَادُ



(مَعْنَىٰ قَـوْلِـهِ تَـعَـالَىٰ:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾.

أَيْ: بَانَ النَّقْصُ في الثِّمَارِ والزُّرُوعِ بِسَبَبِ المَعَاصِي.

وقَـالَ أَبُو العَالِيَـةِ: مَن عَصَـى اللهَ في الأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَـدَ فـي الأَرْضِ؛ لِأَنَّ صَـلاحَ الأَرْضِ والسَّـمَاءِ بِالطَّاعَـةِ، ولِهَذا جَاءَ فـي حَدِيْثٍ رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ: «**لَحَدٌّ يُقَامُ في الأَرْضِ أَحَبُّ إِلىٰ أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِيْنَ صَبَاحًا**» والسَّـبَبُ في هَذَا أَنَّ الحُـدُودَ إِذَا أُقِيْمَـتْ، اِنْكَـفَّ النَّـاسُ ـ أَو أَكْثَرُهَـم ـ عَـنْ تَعَاطِـي المُحَرَّمَـاتِ، وإِذَا اِرْتُكِبَـتْ المَعاصِـي كَانَ سَـبَبًا في مُحَـاقِ البَـرَكَاتِ مِنْ السَّـمَاءِ والأَرْضِ.

ولِهَذَا إِذَا نَزَلَ عِيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمَانِ، فَحَكَمَ بِهَذِهِ

عذاري المراكشي، متوفى ٧١٢هـ.

الشَّرِيْعَةِ المُطَهَّرَةِ في ذَلِكَ الوَقْتِ؛ مِنْ قَتْلِ الخِنْزِيْرِ، وكَسْرِ الصَّلِيْبِ، ووَضْعِ الجِزْيَةِ ـ وهُوَ تَرْكُها ـ فَلَا يُقْبَلُ إِلَّا الإِسْلامُ أو السَّيْفُ، فَإِذَا أَهْلَكَ اللهُ في زَمانِهِ الدَّجَّالَ وأَتْبَاعَهُ، ويَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، قِيْلَ لِلأَرْضِ: أَخْرِجِي بَرَكَاتِكِ، فَيَأْكُلُ مِنْ الرُّمَّانَةِ الفِئَامُ مِنْ النَّاسِ، ويَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِها، ويَكْفِي لَبَنُ اللِّقْحَةِ الجَمَاعَةَ مِنْ النَّاسِ)[1].

ومَا ذَاكَ إِلَّا بِبَرَكَةِ تَنْفِيْذِ شَرِيْعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فكُلَّمَا أُقِيْمَ العَدْلُ كَثُرَتْ البَرَكَاتُ والخَيْرُ، ولِهَذا ثَبَتَ في حَدِيْثٍ صَحِيْحٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: **«مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! ما المُسْتَرِيْحُ والمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: **«العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُ»**[2].

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير ابن كثير» (سورة الروم ٤١) بتصرف.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٦٥١٢).

٦٦



لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ



عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيْها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا ومَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ للهِ سَاجِدًا.

واللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيْرًا، ومَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُدَاتِ تجْأَرُونَ إِلى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ».

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ[1].

ومَعْنَاهُ: لَتَمَنَّيْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ؛ أَيْ: تُقْطَعُ وتُسْتَأْصَلُ مِنْ مَكَانِها، فَتَفْنَىٰ وتَنْتَهِي.

(١) «سنن الترمذي» (رقم ٢٣١٢).

٦٧



إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّه



(قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

مَثَلُ القَلْبِ مَثَلُ الرِّيْشَةِ في أَرْضِ فَلاةٍ؛ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ.

فَمَا حِيْلَةُ قَلْبٍ هُوَ بِيَدِ مُقَلِّبِهِ ومُصَرِّفِهِ، وقَلَّ لَهُ مَشِيْئَةٌ بِدُوْنِ مَشِيْئَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩])[١].



(١) كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ١٢٤) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

٦٨



أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللّٰه غَالِيَةٌ



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غاليةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ»[1].



---

(١) «سنن الترمذي» (رقم ٢٤٥٠).

(*) «من خاف» :يعني من خاف أن يدرك في الطريق وأن يلحقه قطاع الطريق.

«أَدلج» : سار بالدلجة بغاية النشاط والقوة حتى يقطع السير بسرعة، ويسلم من خطر قطاع الطريق. والدلجة: السير في أول الليل وقيل: في آخره؛ لأَن السير في أَول الليل وفي آخره يكون فيه نشاط وقوة على السير.

«ومن أَدلج بلغ المنزل»: من سار بالجد وصبر ونشاط بلغ المنزل بإذن الله في وقت أَسرع ممن تساهل وتباطأ.

٦٩



مَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ



قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ﵀ :

(أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا:

نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، ونِصْفُ مَتَفَقِّهٍ، ونِصْفُ مَتَطَبِّبٍ، ونِصْفُ نَحْوِيٍّ.

هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وهَذَا يُفْسِدُ البُلْدَانَ، وهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ)(١).



(١) كتاب «مجموع الفتاوى» (٥/ ١١٩) لأبي العباس تقي الدين الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

٧٠



القَبَائِحُ الَّتِي تُفْسِدُ القَلْبَ



(الحَيَاءُ مُشْتَقٌّ مِن الحَيَاةِ؛ فَإِنَّ القَلْبَ الحَيَّ يَكُونُ صَاحِبُهُ حَيًّا، فِيْهِ حَيَاءٌ يَمْنَعُهُ عَنْ القَبَائِحِ.

فَإِنَّ حَيَاةَ القَلْبِ هِيَ المَانِعَةُ مِنْ القَبَائِحِ الَّتِي تُفْسِدُ القَلْبَ.

ولِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الحَيَاءُ مِنْ الإِيْمَانِ**»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٠٩) لأبي العباس تقي الدين الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

٧١




فُتِحَتْ لَهُ المَغَالِيْقُ

قَالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ:

(مَنْ أَدَامَ الحَمْدَ؛ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الخَيْرَاتُ..

ومَنْ أَدَامَ الاِسْتِغْفَارَ؛ فُتِحَتْ لَهُ المَغَالِيْقُ)[1].

قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

قَالَ تَعالىٰ: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: ٣].



(١) كتاب «الداء والدواء» (ص ١٨٨) لابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.



فَذَاكُم لَكُم



عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا جَدُّوا نَخْلَهُم؛ قَسَمَ الرَّجُلُ تَمْرَهُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُما أَقَلُّ مِنَ الآخَرِ، ثُمَّ يَجْعَلُوْنَ السَّعَفَ مَعَ أَقَلِّهِمَا، ثُمَّ يُخَيِّرُوْنَ المُسْلِمِيْنَ، فَيَأْخُذُوْنَ أَكْبَرَهُما، ويَأْخُذُ الأَنْصَارُ أَقَلَّهُمَا مِنْ أَجْلِ السَّعَفِ، حَتَّىٰ فُتِحَتْ خَيْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«قَدْ وَفَّيْتُم لَنَا بِالَّذِي كَانَ عَلَيْكُم، فَإِنْ شِئْتُم أَنْ تَطَيَّبَ أَنْفُسُكُم بِنَصِيْبِكُم مِنْ خَيْبَرَ، وتَطِيْبَ لَكُم ثِمَارُكُم؛ فَعَلْتُم».

فَقَالُوا: إِنَّهُ قَدْ كَانَ لَكَ عَلَيْنَا شُرُوْطٌ، ولَنَا عَلَيْكَ شَرْطٌ بِأَنَّ لَنَا الجنَّةَ، قَدْ فَعَلْنَا الَّذِي سَأَلْتَنَا، عَلَىٰ أَنَّ لَنَا شَرْطَنَا، قالَ: **«فَذَاكُم لَكُم»**(١).

---

(١) «جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سَنن» (٢٤/ ١٩٢) للإمام الحافظ المحدث المؤرخ الثقة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، متوفى ٧٧٤هـ.

٧٣



الدعاءُ بظهر الغيب مستجابٌ



(حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بنُ مُحَمَّدٍ الدُّوْرِيُّ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بنُ أَبِي حَرَارَةَ ـ جَارٌ لَنَا ـ قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مُقْعَدَةً نَحوَ عِشْرِيْنَ سَنَةً، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا: اِذْهَبْ إِلَىٰ أَحمَدَ بنِ حَنْبَلٍ فَاسْأَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ فَدَقَقْتُ عَلَيْهِ البَابَ وهُوَ فِي دِهْلِيْزِهِ، فَلَمْ يَفْتَحْ لِي، وقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ذَاكَ الجَانِبِ سَأَلَتْنِي أُمِّي وهِيَ زَمِنَةٌ ـ أَيْ: مَرَضٌ دَائِمٌ ـ مُقْعَدَةٌ أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لَهَا.

فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ كَلَامَ رَجُلٍ مُغْضَبٍ، فَقَالَ: نَحْنُ أَحْوَجُ إِلَىٰ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لَنَا، فَوَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ عَجُوْزٌ مِنْ دَارِهِ، فَقَالَتْ: أَنْتَ الَّذِي كَلَّمْتَ أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: قَدْ تَرَكْتُهُ يَدْعُو اللهَ لَهَا. قَالَ: فَجِئْتُ مِنْ فَوْرِي إِلَى البَيْتِ فَدَقَقْتُ البَابَ؛ فَخَرَجَتْ أُمِّي عَلَىٰ رِجْلَيْهَا تَمْشِي حَتَّىٰ فَتَحَتْ البَابَ فَقَالَتْ: قَدْ وَهَبَ اللهُ لِيَ العَافِيَةَ)[١].

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٤) للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، المتوفى ٤٣٠هـ.

٧٤



فَغَلَبَ عَلَى كُلِّ طَبْعٍ أَهْلَهُ



(حَكَى بَعْضُهُم، قَالَ: كُنْتُ في سَفَرٍ فَضَلَلْتُ عَنْ الطَّرِيْقِ فَرَأَيْتُ بَيْتًا في الفَلَاةِ ـ الصَّحْرَاءِ ـ فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا بِهِ أَعْرَابِيَّةٌ فَلَمَّا رَأَتْنِي، قَالَتْ: مَنْ تَكُوْنُ؟! قُلْتُ: ضَيْفٌ.

قَالَتْ: أَهَلًا ومَرْحَبًا بِالضَّيْفِ، اِنْزِلْ عَلَى الرَّحْبِ والسَّعَةِ.

قَالَ: فَنَزَلْتُ، فَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا فَأَكَلْتُ، ومَاءً فَشَرِبْتُ، فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُ البَيْتِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟! فَقَالَتْ: ضَيْفٌ. فَقَالَ: لَا أَهْلًا ولَا مَرْحَبًا مَا لَنَا ولِلضَّيْفِ!

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ رَكِبْتُ مِنْ سَاعَتِي وسِرْتُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ الغَدِ رَأَيْتُ بَيْتًا في الفَلَاةِ فَقَصَدْتُهُ، فَإِذَا فِيْهِ أَعْرَابِيَّةٌ فَلَمَّا رَأَتْنِي قَالَتْ: مَنْ تَكُوْنُ؟! قُلْتُ: ضَيْفٌ.

قَالَتْ: لَا أَهْلًا ولَا مَرْحَبًا بِالضَّيْفِ، مَا لَنَا ولِلضَّيْفِ!

فَبَيْنَمَا هِيَ تُكَلِّمُنِي إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُ البَيْتِ فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: مَنْ هَذَا؟! قَالَتْ: ضَيْفٌ.

قَالَ: مَرْحَبًا وأَهَلًا بِالضَّيْفِ، ثُمَّ أَتَىٰ بِطَعَامٍ حَسَنٍ فَأَكَلْتُ، ومَاءً فَشَرِبْتُ، فتَذَكَّرْتُ مَا مَرَّ بِي بِالأَمْسِ فتَبَسَّمْتُ!

فَقَالَ: مِمَّ تَبَسُّمُكَ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا اتَّفَقَ لِي مَعَ تِلْكَ الأَعْرَابِيَّةِ وبَعْلِهَا، ومَا سَمِعْتُ مِنْهُ ومِنْ زَوْجَتِهِ.

فَقَالَ: لَا تَعْجَبْ، إِنَّ تِلْكَ الأَعْرَابِيَّةَ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ أُخْتِي، وإِنَّ بَعْلَهَا أَخُو امْرَأَتِي هَذِهِ؛ فَغَلَبَ عَلَىٰ كُلِّ طَبْعٍ أَهْلُهُ[1].

❁ ❁ ❁

(١) «المستطرف في كل فن مستظرف» (ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨) للإمام العالم شهاب الدين محمد الأبشيهي، متوفى ٨٥٢هـ.

٧٥



مِنْ قَضَاءِ دَيْنِكَ



(حَدَّثَنِي يَعْقُوْبُ بنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ كَثِيْرَ الاِخْتِلَافِ ـ السَّفَرِ ـ إِلَىٰ طَرَسُوْسَ، وكَانَ يَنْزِلُ الرَّقَّةَ فـي خَـانٍ، فَكَانَ شَابٌّ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، ويَقُوْمُ بِحَوائِجِهِ، ويَسْمَعُ مِنْهُ الحَدِيْثَ.

قَالَ: فَقَدِمَ عَبْدُ اللهِ الرَّقَّةَ مَرَّةً فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ الشَّابَّ، وكَانَ مُسْتَعْجِلًا فَخَرَجَ في النَّفِيْرِ ـ أَيْ: الجِهادِ فـي سَبِيْلِ اللهِ ـ فَلَمَّا قَفَلَ مِنْ غَزْوَتِهِ ورَجَعَ إِلَى الرَّقَّةِ سَأَلَ عَـنْ الشَّابِّ، قَالَ: فَقَالُوا: إِنَّهُ مَحْبُوْسٌ لِدَيْنٍ رَكِبَهُ!

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وكَـمْ مَبْلَغُ دَيْنِهِ؟ فَقَالُوا: عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَقْصِي حَتَّىٰ دُلَّ عَلَىٰ صَاحِبِ المَالِ ـ صَاحِبِ الدَّيْنِ ـ فَدَعَا بِهِ لَيْلًا ووَزَنَ لَهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وحَلَّفَهُ أَنْ لَا يُخْبِرَ أَحَدًا مَـا دَامَ عَبْدُ اللهِ حَيًّا. وقَالَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَخْرِجْ

الرَّجُلَ مِنْ الحَبْسِ، وأَدْلَجَ عَبْدُ اللهِ. فَأُخْرِجَ الفَتَىٰ مِنْ الحَبْسِ وقِيْلَ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ كَانَ هَاهُنَا وكَانَ يَذْكُرُك، وقَدْ خَرَجَ؛ فَخَرَجَ الفَتَىٰ في أَثَرِهِ فَلَحِقَهُ عَلَىٰ مَرْحَلَتَيْنِ -أَو ثَلَاثَةٍ- مِنْ الرَّقَّةِ.

فَقَالَ: يَا فَتَىٰ! أَيْنَ كُنْتَ، لَمْ أَرَكَ في الخَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمَنِ! كُنْتُ مَحْبُوْسًا بِدَيْنٍ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ سَبَبُ خَلَاصِكَ؟

قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَضَىٰ دَيْنِي ولَمْ أَعْلَمْ بِهِ حَتَّىٰ أُخْرِجْتُ مِن الحَبْسِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: يَا فَتَىٰ! اِحْمَدْ اللهَ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَكَ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِكَ.

فَلَمْ يُخْبِرْ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ اللهِ)[١].

❊ ❊ ❊

(١) «تاريخ بغداد أو مدينة السلام» (١٠/ ١٥٨) للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

٧٦



وما كُنَّا نَقُوْلُ إِلَّا: المُدْيَة



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُوْلُ:

«مَثَلِي ومَثَلُ النَّاسِ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ اِسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الفَرَاشُ وهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ في النَّارِ».

وقَالَ: **«كَانَتْ اِمْرَأَتانِ مَعْهُمَا اِبْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْداهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّما ذَهَبَ بِابْنِكِ. وقَالَتْ الأُخْرَى: إِنَّما ذَهَبَ بِابْنِكِ؛ فَتَحاكَمَتا إِلَىٰ دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلكُبْرىٰ، فَخَرَجَتا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بن دَاوُدَ، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: اِئْتُوْنِي بِالسِّكِّيْنِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُما، فَقَالَتْ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ اِبْنُها، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرىٰ»**.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّيْنِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وما كُنَّا نَقُوْلُ إِلَّا: المُدْيَةَ[١].

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٣٤٢٦).



فِي آخِرِ الزَّمَانِ



قَالَ الإِمَامُ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(لَا يَكُـوْنُ فـي آخِرِ الزَّمَانِ شَـيْءٌ أَعَزَّ مِـنْ أَخٍ مُؤْنِسٍ، أَو كَسْـبِ دِرْهَمٍ مِنْ حِلِّهِ، أَو سُـنَّةٍ يُعْمَـلُ بِها)[١].



(١) كتاب «تاريخ دمشق الكبير» (٣٥/ ٢٠٢) لابن عساكر، متوفى ٥٧١هـ.

٧٨



يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُم



(دَخَلَ اِبنُ السَّمَّاكِ يَوْمًا عَلَىٰ أَمِيْرِ المُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيْدِ فوافَقَ أَنْ وَجَدَهُ يَرفَعُ الماءَ إِلَىٰ فَمِهِ لِيَشْرَبَ.

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنَينَ! فَلَمَّا وَضَعَ الماءَ، قَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ تَعَالىٰ، لَوْ أَنَّكَ مُنِعْتَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ مِنْ المَاءِ؛ فَبِكَم كُنْتَ تَشْتَرِيهَا؟ قَالَ: بِنِصْفِ مُلْكِي.

قَالَ: اِشْرَبْ هَنَّأَكَ اللهُ، فَلَـمَّا شَـرِبَ، قَالَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ تَعَالىٰ لَو أَنَّكَ مُنِعْتَ خُرُوْجَها مِنْ جَوفِكَ بَعدَ هَذَا، فَبِكَم كُنْتَ تَشْتَرِيها؟ قَالَ: بِمُلْكِي كُلِّهِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ مُلْكًا تَرْبُو عَلَيْهِ شَرْبَةُ مَاءٍ، وتَفْضُلُهُ بَوْلَةٌ وِاحِدَةٌ، لَخَلِيْقٌ أَلَّا يُنافَسَ فِيْهِ، فَبَكَىٰ هَارُونُ الرَّشِيْدُ، حَتَّىٰ اِبْتَلَّتْ لِحْيَتُهُ.

فَقَالَ الفَضْلُ بنُ الرَّبِيْعِ أَحَدُ وُزَرَائِهِ:

مَهْلًا يَا ابِنَ السَّمَّاكِ! فَأَمِيْرُ المُؤْمِنيْنَ أَحَقُّ مِنْ رِجاءِ العَاقِبَةِ عِنْدَ اللهِ بِعَدْلِهِ في مُلْكِهِ.

فَقَالَ ابِنُ السَّمَّاكِ: يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِينَ! إِنَّ هَذَا لَيْسَ مَعَكَ في قَبْرِكَ غَدًا، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، فَأَنْتَ بِها أَخبَرُ، وعَلَيْها أَبْصَرُ، وأَمَّا أَنْتَ يَا فَضْلُ! فَمِنْ حَقِّ الأَمِيْرِ عَلَيْكَ، أَنْ تَكُونَ يَومَ القِيامةِ مِنْ حَسَناتِهِ لَا مِنْ سَيِّئاتِهِ، فَذَلِكَ أَكْفَأُ مَا تُؤَدِّي بِهِ حَقَّهُ عَلَيْكَ، لَا شَيْءَ أَجَلُّ مِنَ العَافِيَةِ، ولَا يَدُومُ مُلْكٌ إِلَّا بِالعَدْلِ، ولَا يَنفَعُ نَفْسًا إِلَّا مَا قَدَّمَتْ، يومَ لَا يُغْنِي مَولىً عَنْ مَولىً شَيْئًا، ويَوْمَ لَا يَنفَعُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُم)[1].



(١) كتاب «عيون الحكايات» (ص٣٥٠) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٧٩



فَعلِمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ



(اِسْتَعَارَ رَجُلٌ مِنْ أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بنِ أَبِي طَاهِرٍ الإِسْفَرَائِيْنِيِّ الفَقِيْهِ كِتَابًا، فَرَآهُ أَبُو حَامِدٍ يَوْمًا وقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ عِنبًا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِك أَنْ يُعِيْرَهُ كِتَابًا!

فَقَالَ: تَأْتِيْنِي إِلَى المَنْزِلِ، فَأَتَاهُ فَأَخْرَجَ الكِتَابَ إِلَيْهِ في طَبَقٍ ونَاوَلَهُ إِيَّاهُ؛ فَاسْتَنْكَرَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وقَالَ: مَا هَذَا؟!

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَامِدٍ: هَذَا الكِتَابُ الَّذِي طَلَبْتَهُ، وهَذَا طَبَقٌ تَضَعُ عَلَيْهِ مَا تَأْكُلُهُ؛ فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ)[١].



(١) «تقييد العلم» (ص ١٤٩) للحافظ المؤرخ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

٨٠



مَاتَتْ قُلُوبُكُم في عَشَرَةِ أَشْيَاءَ



(مَرَّ إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ في سُوْقِ البَصْرَةِ؛ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ في كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

ونَحْنُ نَدْعُوْهُ مُنْذُ دَهرٍ؛ فَلَا يَسْتَجِيْبُ لَنَا!

فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ: مَاتَتْ قُلُوبُكُم في عَشَرَةِ أَشْيَاءَ:

أَوَّلُها: عَرَفْتُم اللهَ ولَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ.

والثَّانِي: قَرَأْتُم القُرْآنَ ولَمْ تَعْمَلُوا بِهِ.

والثَّالثُ: اِدَّعَيْتُم حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وتَرَكْتُم سُنَّتَهُ.

والرَّابعُ: اِدَّعَيْتُم عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ ووَافَقْتُمُوْهُ.

والخَامِسُ: قُلْتُم: إِنَّكُم تُحِبُّونَ الجَنَّةَ، ولَمْ تَعْمَلُوا لَها.

والسَّادِسُ: قُلْتُم: نَخَافُ النَّارَ، وذَهَبَتْ أَنْفُسُكُم بِها.

والسَّابِعُ: قُلْتُم: إِنَّ المَوتَ حَقٌّ، ولَمْ تَسْتَعِدُّوا.

والثَّامِنُ: اِشْتَغَلْتُم بِعُيُوبِ إِخْوانِكُم ونَسِيْتُم عُيُوبَكُم.

والتَّاسِعُ: أَكَلْتُم نِعْمَةَ اللهِ ولَمْ تَشْكُرُوْها.

والعَاشِرُ: دَفَنْتُم مَوْتاكُم ولَمْ تَعْتَبِرُوا بِهِم[1].

❁ ❁ ❁

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (١/ ٣٩٥) لأَبي عباس أَحمد بن خلكان، متوفى ٦٨١هـ.

٨١



وتَابَ الرَّجُلُ ولَمْ يَعُدْ إلَى مَا كَانَ



(عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ رَجَاءَ الغُدَانِيِّ، قَالَ:

كَانَ لِأَبي حَنِيْفَةَ جَارٌ بِالكُوْفَةِ إسْكَافٌ، يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ، حَتَّىٰ إذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَجَعَ إلَىٰ مَنْزِلِهِ، وقَدْ حَمَلَ لَحمًا فَطَبَخَهُ، أَوْ سَمَكَةً فَشَوَاهَا، ثُمَّ لَا يَزالُ يَشْرَبُ حَتَّىٰ إذَا دَبَّ الشَّرَابُ فِيْهِ غَزَلَ بِصَوْتٍ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَضَاعُوْنِي وأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيْهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

فَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ ويُرَدِدُ هَذَا البَيْتَ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ النَّوْمُ.

وَكَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ يَسْمَعُ جَلَبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ - وأَبُو حَنِيْفَة كَانَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ - فَفَقَدَ أَبُو حَنِيْفَةَ صَوْتَهُ! فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ: أَخَذَهُ العَسَسُ - رِجَالُ الشَّرِطَةِ - مُنْذُ لَيَالٍ وَهُوَ مَحْبُوْسٌ.

فَصَلَّىٰ أَبُو حَنِيْفَةَ صَلَاةَ الفَجْرِ مِنْ غَدٍ، ورَكِبَ بَغْلَةً،

وِاسْتَأْذَنَ عَلَى الأَمِيرِ، قَالَ الأَمِيرُ: اِئذَنُوا لَهُ، وأَقْبِلُوا بِهِ رَاكِبًا، ولَا تَدعُوْهُ يَنْزِلُ حَتَّىٰ يَطَأَ البِسَاطَ، فَفُعِلَ، فَلَمْ يَزَلِ الأَمِيْرُ يَوَسِّعُ لَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: لِي جَارٌ إِسْكَافٌ أَخَذَهُ العَسَسُ مُنْذُ لَيَالٍ، يَأْمُرُ الأَمِيْرُ بِتَخْلِيَتِهِ. فَقَالَ: نَعَمْ، وكُلُّ مَنْ أُخِذَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلىٰ يَوْمِنَا هَذَا؛ فَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِم أَجْمَعِيْنَ.

فَرَكِبَ أَبُو حَنِيْفَةَ والإِسْكَافُ يَمْشِي وَرَاءَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو حَنِيْفَةَ مَضَىٰ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا فَتَىٰ أَضَعْنَاكَ؟ فَقَالَ: لَا؛ بَلْ حَفِظْتَ ورَعَيْتَ، جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا عَنْ حُرْمَةِ الجِوَارِ، ورِعَايَةِ الحَقِّ.

وتَابَ الرَّجُلُ، ولَمْ يَعُدْ إِلَىٰ مَا كَانَ)[1].

❋ ❋ ❋

(١) «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (ص٢١) للإمام محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي، متوفى ٤٨٨هـ.

٨٢



عِظْنِي بِما رَأَيْتَ



قَالَ الشَّيْخُ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبَلَـغَـنِي أَنَّ المَنْصُورَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِظْنِي، قَالَ: بِما رَأَيْتُ أَو بِما سَمِعْتُ؟ قَالَ: بِما رَأَيْتَ!

قَالَ: مَاتَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا، وبَلَغَتْ تَرِكَتُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ دِيْنَارًا، كُفِّنَ مِنْها بِخَمْسَةِ دَنَانِيْرَ، واشْتُرِيَ لَهُ مَوْضِعُ قَـبْـرِهِ بِدِيْنَارَيْنِ - وقُـسِّمَ البَاقِي عَـلَىٰ بَنِيْهِ - وأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ وَلَدِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا.

مَاتَ هِشَامُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ، وخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا فَقُسِمَتْ تَرِكَتُهُ وأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تَرِكَتِهِ أَلْفَ أَلْفٍ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ قَدْ حَمَلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ مِئَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ هِشَامٍ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ)[1].

(١) كتاب «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد» (ص ٣٣٨) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٨٣



فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلَّهُ



(رَوَى أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ هِشَامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ فَقَالَ لَهُ: عِظْنِي يَا أَعْرَابِيُّ!

فَقَالَ: كَفَىٰ بِالقُرآنِ وَاعِظًا؛ أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيْمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين ٦].

ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطَفِّفُ فِي الكَيْلِ والمِيْزَانِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلَّهُ؟)[1].

❋ ❋ ❋

(١) كتاب «العقد الفريد» (٤/ ٢٤) لأَحمد بن محمد بن عبد ربه الأَندلسي، متوفى ٣٢٨هـ.

٨٤



حَذَّرَ مِنَ الأَزْوَاجِ والأَوْلَادِ



(حَدَّثَنا يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ العَسْقَلَانِيُّ، حَدَّثَنا ضَمْرَةُ، حَدَّثَنا ابنُ شَوْذَبٍ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ أَقْوَامًا سَحَبُوْهُم عِيَالَاتُهُم عَلَى المَهَالِكِ)[١].

أَيْ: حَذَّرَهُم مِن مَوَدَّتِهِم ومَحَبَّتِهِم لِأَزْوَاجِهِم وأَوْلَادِهِم؛ أَنْ يَأْخُذُوْهُم إِلَى الحَرَامِ.



(١) كتاب «العيال» (٢/ ٦٢٢) لأَبي بكر عبد الله القرشي المعروف بـ(ابن أَبي الدنيا) متوفى ٢٨١هـ.



٨٥



اِحْذَرْ لَا يَرَوْنَكَ



(قَالَ مُقَاتِلُ بنُ مُحَمَّدٍ العَكِّيُّ:

حَضَرْتُ مَعَ أَبِي وأَخِي عِنْدَ إِبْرَاهِيْمَ الحَرْبِيِّ.

فَقَالَ لِأَبِي: هَؤُلَاءِ أَوْلَادُكَ؟

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اِحْذَرْ، لَا يَرَوْنَكَ حَيْثُ نَهَاكَ اللهُ؛ فَتَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِهِم)[1].



(١) كتاب «تاريخ بغداد أو مدينة السلام» (٦/ ٣٥) للإمام الحافظ أَبي بكر أَحمد بن علي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣هـ.

٨٦



سِيْمَاءُ حَسَنَةٌ



(سَأَلَ رَجُلٌ اِبنَ سِيْرِيْنَ، فَقَالَ:

رَأَيْتُ في المَنَامِ كَأَنِّي أُؤَذِّنُ. قَالَ: تَحُجُّ.

وسَأَلَهُ آخَرُ؛ فَأَوَّلَ بقَطْعِ يَدِهِ في السَّرِقَةِ!

فَقِيْلَ لَهُ في التَّأْوِيْلَيْنِ؟!

فَقَالَ: رَأَيْتُ الأَوَّلَ عَلَىٰ سِيْمَاءَ حَسَنَةٍ؛ فَأَوَّلْتُ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ولَمْ أَرْضَ هَيْئَةَ الثَّانِي؛ فَأَوَّلْتُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠])[١].



---

(١) كتاب «شرح السنة» (١٢/ ٢٢٤) للإمام الحسين البغوي، متوفى ٥١٦هـ.

٨٧



لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ



قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ووالله لَئِنْ جَاءَتْ الأَعاجِمُ بِعَمَلٍ وجِئْنَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، لَهُم أَوْلَىٰ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَّا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ قَصُرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[١].



(١) كتاب «الأحكام السلطانية» (ص ٢٣٧) لأَبي يعلى الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.

٨٨



نَشَاطٌ في العِبَادَةِ



(كَانَ حَامِدٌ اللَّفَّافُ يَقُولُ:

مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ المَوْتِ؛ أُكْرِمَ بِثَلَاثِةِ أَشْيَاءَ:

تَعْجِيْلِ التَّوْبَةِ، وقَنَاعَةِ النَّفْسِ، والنَّشَاطِ في العِبَادَةِ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب «تنبيه المغترين أَواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» (ص ٥٦) لأَبي المواهب عبد الوهاب بن أَحمد الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

٨٩



وأَنَّ دِيْنَنا قَدْ طَابَ



(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْلَمَةَ بنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا في دَارِ عُقْبَةَ بنِ رَافِعٍ، فَأُتِيْنَا بِرُطَبٍ مِن رُطَبِ اِبْنِ طَابٍ؛ فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا في الدُّنْيا، والعَافِيَةَ في الآخِرَةِ، وأَنَّ دِيْنَنَا قَدْ طَابَ»[١].

أَيْ: كَمُلَ واِسْتَقَرَّتْ أَحْكَامُهُ وتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ.

***

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي».



٩٠



يُعِزُّكَ اللهُ حَيْثُمَا كُنْتَ



(قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ رحمه الله :

أَوْصِنِي، فَقَالَ لَهُ:

أَعِزَّ أَمْرَ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، يُعِزُّكَ اللهُ حَيْثُمَا كُنْتَ)[١].



(١) كتاب «الآداب الشرعية» (ص ١٨) لأَبي عبد الله شمس الدين المقدسي، متوفى ٦٨٢هـ.

٩١



مَا تَرَكْتُ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ



(قَالَ سَعِيْدُ بنُ المُسَيَّبِ:

مَا تَرَكَتُ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً.

وكَانَ سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي لَيْلَتَيْنِ) [1].



(١) كتاب «الأَريج في المواعظ والتواريخ» (ص٣٦) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٩٢



اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ



عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلَ يَعُودُهُ، قَالَ:

«**اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَو يَمْشِي لَكَ إِلَىٰ صَلَاةٍ**»[1].

أَيْ: صَلَاةِ الجِنَازَةِ.



(١) «صحيح ابن حبان» متوفى ٣٥٤هـ.




أَمْرُكَ فِي التَّوَكُّلِ

(قِيْلَ لَحَاتِمٍ الأَصَمِّ: عَلَىٰ مَا بَنَيْتَ أَمْرَكَ في التَّوَكُّلِ؟

قَالَ: عَلَىٰ خِصَالٍ أَرْبَعَةٍ:

عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي، فَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسِي.

وعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُوْلٌ بِهِ.

وعَلِمْتُ أَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، فَأَنَا أُبَادِرُهُ.

وعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللهِ، فَأَنَا مُسْتَحٍ مِنْهُ)[1].



---

(١) كتاب «سير أَعلام النبلاء» (١١/ ٤٨٥) للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ.




مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِ

قَالَ التَّابعي الزَّهد الفُضَيْلُ بْن عِيَاض رحمه الله:

(لمُؤْمِنُ يَسْتُرُ ويَنْصَحُ، والفَاجِرُ يَهْتِكُ ويُعَيِّرُ)[١]،[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «مجموعة الرسائل» (ص٤١٠) للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.

(٢) (أَن النصيحة والتعيير يشتركان في أَن كلاًّ منهما ذكر للإنسان بما يكره ذكره، ويفترقان في أَنَّ النصيحة فيها مصلحةٌ لعامة المسلمين أَو لخاصتهم أَو مصلحة المنصوح نفسه، أَما التعيير فالمقصود منه مجرد الذم والعيب، وإظهار السوء وإشاعته وإن ظهر في قالب النصح): «الفرق بين النَّصِيحَة والتعيير» لابن رجب (٧-٢٢).

٩٥



ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ.

وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٢٦٥١).



٩٦



لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ؛ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَو أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا.

ولَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ؛ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَو أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً»[١].



(١) «صحيح البخاري» (رقم ٦٥٦٩).

٩٧



أَنَا أَعْلَمُ بِمَا صَنَعَتْ نَفْسِي



(قِيْلَ لِعَمْرِو بـنِ هَانِئٍ:

لَا نَرَىٰ لِسَانَكَ يَفْتُرُ مِنْ الذِّكْرِ، فَكَم تُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ؟

قَالَ: مِئَةَ أَلْفٍ، إِلَّا مَا تُخْطِئُ الأَصَابِعُ.

وصَامَ مَنْصُورُ بنُ المَعْتَمِرِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً وقَامَ لَيْلَهَا.

وكَانَ اللَّيْلُ كُلُّهُ يَبْكِي، فَتَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ! قَتَلْتَ قَتِيْلًا؟

فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَا صَنَعَتْ نَفْسِي)[١].



(١) كتـاب «الأَريـج فـي المواعـظ والتواريـخ» (ص٣٦) لابـن الجـوزي، متوفـى ٥٩٧هـ.

٩٨



وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ، فَأَعْجَبَتْهُ فَقَالَ: لَوْ اِعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، ولَنْ أَفْعَلَ حَتَّىٰ أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

«لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُم فِي سَبِيْلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِيْنَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم، ويُدْخِلَكُم الجَنَّةَ؟ اِغْزُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيْلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[١].



(١) «سنن الترمذي» (١٦٥٠).

٩٩



خَتْمَةُ القُرْآنِ



(قَالَ الحِمَّانِيُّ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبُو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ الوَفَاةُ بَكَتْ أُخْتُهُ، فَقَالَ: لَا تَبْكِي - وأَشَارَ إِلَىٰ زَاوِيَةٍ في البَيْتِ - إِنَّهُ قَدْ خَتَمَ أَخُوكِ في هَذِهِ الزَّاوِيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ.

قال الرَّبِيعُ: وكَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِيْنَ خَتْمَةً، وفي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِّيْنَ خَتْمَةً، سِوَى مَا يَقْرَأُ في الصَّلَواتِ)[١].



(١) كتاب «الأَريج في المواعظ والتواريخ» (ص ٣٧) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.



أَيْنَ مَنْزِلِي في الجَنَّةِ أَو النَّارِ؟



(قَالَ أَبُو عَيَّاشٍ القَطَّانُ: بَلَغَنا أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ كَثِيْرُ المَالِ، وكَانَتْ لَهُ اِبْنَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُها، وكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيْدًا، وكَانَ يُلْهِيْهَا بِصُنُوْفِ اللَّهْوِ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ زَمَانًا.

وكَانَ إِلَىٰ جَانِبِ المَلِكِ عَابِدٌ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ إِذْ رَفَعَ صَوْتَهُ وهُوَ يَقُولُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فَسَمِعَتْ الجَارِيَةُ قِرَاءَتَهُ، فَقَالَتْ لِجَوَارِيْهَا: كُفُّوا! فَلَمْ يَكُفُّوا، وجَعَلَ العَابِدُ يُرَدِّدُ الآيَةَ، والجَارِيَةُ تَقُولُ لَهُم: كُفُّوا! فَلَمْ يَكُفُّوا؛ فَوَضَعَتْ يَدَها في جَيْبِها فَشَقَّتْ ثِيَابَها!

فَانْطَلَقُوا إِلىٰ أَبِيها؛ فَأَخْبَرُوهُ بِالقِصَّةِ.

فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ:

يَا حَبِيبَتِي! مَا حَالُكِ مُنْذُ اللَّيْلَةِ؟ مَا يُبْكِيْكِ؟ وضَمَّهَا إِلِيهِ.

فَقَالَتْ: أَسْأَلُكَ بِاللهِ يَا أَبَهْ! للهِ عَزَّ وَجَلَّ دَارٌ فِيْها نَارٌ وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: ومَا يَمْنَعُكَ يَا أَبَهْ! أَنْ تُخْبِرَنِي؟

واللهِ لَا أَكَلْتُ طَيِّبًا، ولَا نِمْتُ عَلَىٰ لَيِّنٍ، حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَيْنَ مَنْزِلِي في الجَنَّةِ أَو النَّارِ؟)[1].

(١) كتاب «صفوة الصفوة» (٢/ ٣٥٣) لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

١٠١



حَفِظَ لِسَانَه



قَالَ العلَّامةُ اِبْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

(مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ في الدُّنْيَا:

أَطْلَقَ اللهُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ المَوْتِ، ولِقَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ)[1].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**[2].



(١) كتاب «بحر الدموع» (ص ٢٠٣)،لابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٢) رواه البخاري: (٦٤٧٨).

١٠٢



حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُم



عَنْ الصَّاحبيُّ الجليلِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِابْنِهِ وهُوَ في سِيَاقِ المَوْتِ:

(إِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ ولَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُوْنِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيْمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُوْرٌ، ويُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُم، وأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي)[(١)].

* الشَّرحُ: («عَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ قَالَ لِابْنِهِ» أَيْ: عَبْدِ اللهِ «وهُوَ في سِيَاقِ المَوْتِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي» أَيْ: لَا تَتْرُكْ أَنْ يَكُوَن مَعَ جِنَازَتِي «نَائِحَةٌ» أَيْ: صَائِحَةٌ بِالبُكَاءِ، ونَادِبَةٌ بالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُؤْذِي المَيِّتَ والحَيَّ، ويَشْغَلُ المُشَيِّعَ عَنْ ذِكْرِ المَوْتِ «ولَا نَارٌ» أَيْ: لِلْمُبَاهَاةِ والرِّيَاءِ، كَمَا كَانَ

(١) رواه مسلم: (رقم ١٢١).

عَـادَةُ الجَاهِلِيَّـةِ «فَـإِذَا دَفَنْتُمُونِـي» أَيْ: أَرَدْتُم دَفْنِي «فَشُـنُّوا» أَيْ: صُبُّـوا وكُبُّـوا «عَلَـيَّ التُّـرابَ شَـنًّا» الشَّـنُّ: الصَّـبُّ «ثُمَّ أَقِيمُـوا حَـوْلَ قَبْـرِي» لَعَلَّـهُ لِلدُّعَـاءِ بِالتَّثْبِيْتِ وغَيْـرِهِ «قَدْرَ مَا تُنْحَـرُ جَـزُوْرٌ» أَيْ: بَعِيْرٌ وهُوَ مُؤَنَّـثُ اللَّفْظِ «ويُقْسَـمُ لَحْمُهَا حَتَّـى أَسْـتَأْنِسَ بِكُـم» أَيْ: بِدُعَائِكُـم وأَذْكَارِكُـم وقِرَاءَتِكُم، واِسْتِغْفَارِكُم.

وقَـدْ وَرَدَ فـي خَبَـرِ أَبِـي دَاوُدَ: أَنَّ النَّبِـيَّ - عَلَيْـهِ الصَّلَاةُ والسَّـلَامُ - كَانَ إِذَا فَـرَغَ مِنْ دَفْنِ الرَّجُلِ يَقِـفُ عَلَيْهِ، ويَقُولُ: «اِسْتَغْفِرُوا اللهَ لِأَخِيْكُم، واِسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيْتَ»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (ص ١٧٢) للعلامة علي بن سلطان القاري، متوفى ١٠١٤هـ.

١٠٣



فَإِنَّا علَى إِثْرِكِ مَاضُوْنَ



(كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَىٰ أَحَدًا يَحْمِلُ جِنَازَةً!

يَقُوْلُ لَهَا: اِمْضِي إِلَىٰ رَبِّكِ؛ فَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِكِ مَاضُونَ)[١].

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم:

«السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّه لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ»[٢].



(١) كتاب «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» (ص ٥٤) لأَبي المواهب عبد الوهاب بن أَحمد الشعراني، متوفى ٩٧٣هـ.

(٢) «رواه مسلم»: (٩٧٥).

١٠٤



لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذا



(عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ، أَنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أَوْسٍ اِدَّعَتْ عَلَىٰ سَعِيْدِ بنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلىٰ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ. فقَالَ سَعِيْدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ومَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ـ يَعْنِي: ظُلْمًا ـ طُوِّقَهُ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِيْنَ»**.

فَقَالَ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، قَالَ: اللَّهُمَّ! إِنَ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَها، واِقْتُلْهَا في أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُهَا، فَبَيْنَا هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) «السنن الكبرى» (٦/ ١٦٣) لأبي بكر البيهقي، متوفى ٤٥٨هـ.

١٠٥



حُقُوقُ النَّاسِ وَوَصِيَّةٌ قَبْلَ المَوْتِ



(عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غيرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ [وهَذَا التَّفْضِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَابِ حُبِّهِ أَكْثَرَ مِنَ المَالِ والوَلَدِ].

فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ [وهَذَا مِنْ دَأْبِ الصَّالِحِينَ؛ فَمِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ لِمَنْ شَعَرَ بِقُرْبِ أَجَلِهِ أَنْ يُوَضِّحَ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقوقٍ لِلنَّاسِ، ويُوصِيَ بِقَضَائِها].

واسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا [أَيْ: كُنْ في رِعَايَتِهِم؛ وذَلِكَ أَنَّ جابِرًا كَانَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ].

فَأَصْبَحْنَا؛ فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ [أَيْ: في غَزْوَةِ أُحُدٍ].

ودُفِنَ مَعَهُ آخَرُ في قَبْرٍ [أَيْ: شَهِيْدٌ آخَرُ].

ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ.

[أَيْ: لَمْ تَسْتَرِحْ نَفْسِي ويَستقِرَّ قَلْبِي وخَاطِرِي أَنْ يَكُونَ مَدْفُونًا مَعَ غَيْرِه في قَبْرٍ وَاحِدٍ].

فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ؛ فَإِذَا هُوَ كَيَومِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ.

[أَيْ: لَمْ أَجِدْ تَغَيُّرًا في جَسَدِهِ بَعْدَ مُرُوْرِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَىٰ دَفْنِهِ، مِنْ حِفْظِ اللهِ لِأَجْسَادِهِم، غَيْرَ مَوْضِعٍ صَغِيْرٍ عِنْدَ أُذُنِهِ قَدْ تَغَيَّرَ، وهَذَا مِنْ كَرَامَاتِ اللهِ لِلشُّهَدَاءِ)][(١)].



(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٣٥١).

١٠٦



حُسْنُ الخَاتِمَةِ



(عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اِلتَقَىٰ هو والمُشْرِكُونَ فَاِقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، ومَالَ الآخَرُونَ إِلىٰ عَسْكَرِهِمْ.

وفي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً ولَا فَاذَّةً إِلَّا اِتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بسَيْفِهِ.

فَقالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَومَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَا إِنَّه مِنْ أَهْلِ النَّارِ»**.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ معهُ. قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيْدًا، فَاِسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله!

قَالَ: «ومَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفاً أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ! فَقُلتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ في طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيْدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عليه فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيْمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيْما يَبْدُو لِلنَّاسِ، وهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].



تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ وفَضْلِهِ

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٨٩٨).



الفِهْرِسُ



الموضوع	الصفحة

